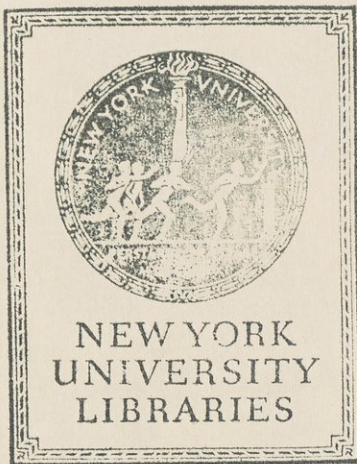


BOBST LIBRARY



3 1142 02908 2073



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

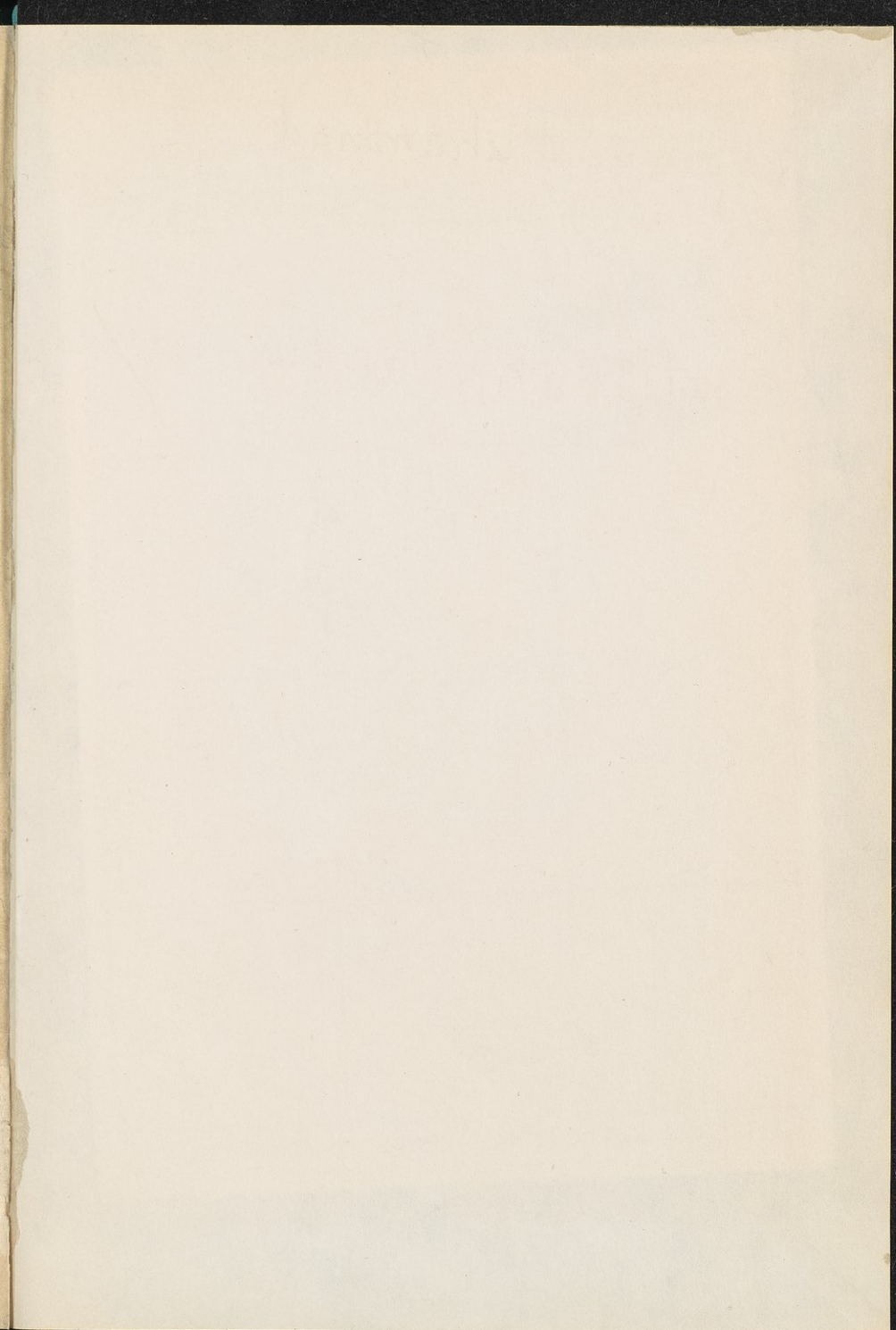
New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
<http://library.nyu.edu>
Circulation policies
<http://library.nyu.edu/about>

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

DUE DATE APR 11 2015 BOBST LIBRARY		

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE



Taymūr, Muhammad, محمد التيمور

Mātarāhu al-'uyūn

1927

مآثره العيون

N. Y. U. LIBRARIES

١٥٦

الطبعة الثانية

الطبعة الثانية مزينة بالصور

١٩٢٧-١٣٤٥

المطبعة السلفية - بمصر

١٩٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة للناس

تخليداً لذكرى المرحوم شقيقي المحبوب « محمد تيمور »
جمعتُ بعد وفاته جميع أعماله الأدبية والمسرحية وطبعتها في ثلاثة
أجزاء سميتها « وميض الروح » و « حياتنا التمثيلية » و « المسرح
المصرى » . ولم اطبع منها غير خمسمائة نسخة وُرُزعت معظمها على
الاصدقاء وأصحاب الجرائد والمجلات ودور الكتب العامة .
وما تبقى نفدتُ نسخته من الاسواق في بضعة أشهر .

ولما كان إعادة طبعها جميعها دفعة واحدة يتطلب مجهوداً كبيراً
رأيتُ ان اجزئىء هذا المجهود فأعيد طبعها على عدة دفعات . واني
ابداً اليوم بنشر قطعه القصصية الرائعة « ما تراه العيون » التي
أعدتها في مقدمة أعماله الأدبية كما أعدتها أيضاً في مقدمة مؤلفاتنا
العصرية .

هذا وقد رأيتُ اتماماً للفائدة ان اصدر هذه المجموعة بموجب
بسيط عن تاريخ حياة الفقيه وبيان مختصر عن مؤلفاته ، مراعيًا في

Near East

PJ

7864

.A52

M3

c. 2



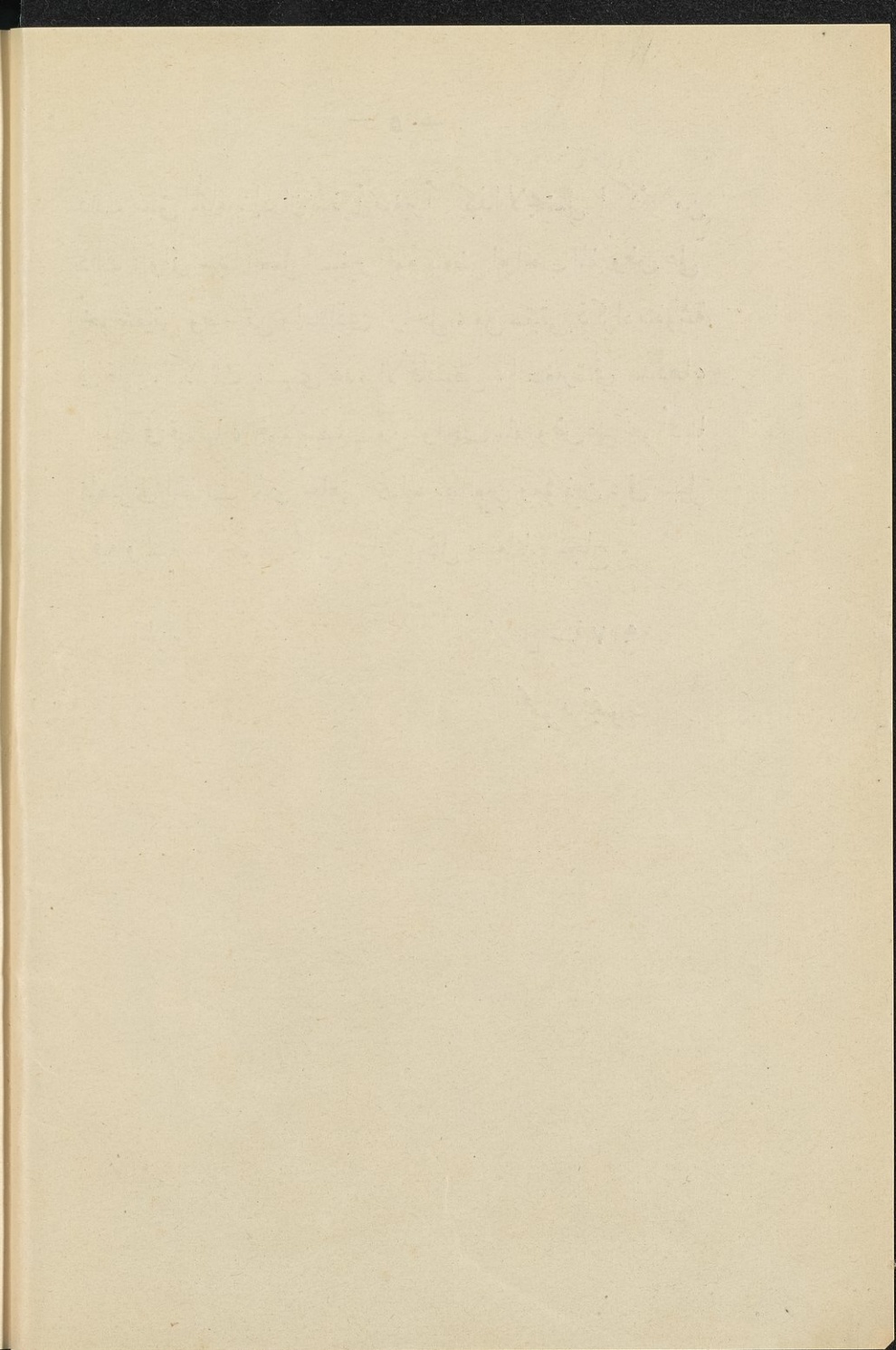
المهروم محمد نيمور

ذلك ضيق المقام . إذ ان سفرأ صغيراً كهذا لا يمتثل أكثر من ذلك . واني بهذا العمل الصغير أقوم ببعض الواجب المفروض على نحو شقيقى وصديقى واستاذى الراحل ، من سبقى ذكره منقوشة فى قلابى . كذلك بنشرى هذه الأفاصيص ، الصغيرة فى عددها ، الجليلة فى قيمتها ، أقوم بنصيب من الواجب المفروض على نحو أدبنا المصرى الحديث الذى نجاهد كلنا ، مطالعين ومؤلفين ، فى سبيل رقيه والسير به نحو الكمال . والله يكال مسعانا بالنجاح .

ابريل سنة ١٩٢٧

الجزيرة .

محمود تيمور



موسم الكرم والحبوب
(1911-1912)

موجز

عن

حياة المؤلف

وأعماله

المرحوم محمد تيمور

(١٨٩٢ - ١٩٢١)

ولد المرحوم « محمد تيمور » في القاهرة عام ١٨٩٢ . وتوفي بها في شهر فبراير عام ١٩٢١ . أتم علومه الابتدائية والثانوية في المدارس الأميرية المصرية . ثم قصد الى فرنسا لتعلم القانون . وصرف فيها ثلاثة أعوام . واعدت الحرب العظمى عام ١٩١٤ عند ما كان في مصر يمضي اجازة الصيف . فلم يستطع العودة لاتمام دراسته .

كان شغفه كبيراً بالأدب والمسرح منذ الصغر - وهذا يفسر لنا شدة عنايته بهما فيما بعد - فاستطاع أن ينظم الشعر وهو في سن العاشرة وظهرت له مقالات في الصحف وهو لم يفارق المدرسة الابتدائية . ولما انتقل الى المدرسة الثانوية ازداد شغفه بالأدب والشعر . وكتاباتة كلها في ذلك الحين تتميز برشاقة العبارة وحسن الاسلوب ، تنبئ بمستقبل زاهر في عالم الادب . ولكنه اهملها على اثر عودته من أوروبا إذ وجدها دون مستواه الفكرى في ذلك الوقت .

أطوار حياته الثلاثة

أطوار حياته الثلاثة هي : طور المنزل والمدرسة . طور الدراسة في فرنسا . طور العودة إلى مصر .

فالطور الأول يمتاز بظهور ميوله الأدبية التي ورثها عن أبيه . وكيف ساعدت بيئته المنزلية باحثها كالدائم مع والده نمو هذه الميول وازدهارها .

والطور الثاني - وهو ما يجدر بنا ان نسميه طور الانتقال - يمتاز بثورته الفكرية ، وليدة بيئته الجديدة ، حيث عاش ثلاث سنين في جوها الرائع مغموراً ببحرية التفكير واستقلال الرأي والاعتماد على النفس ، محاطاً بكل ما هو جليل ومفيد من نظريات صائبة ومذاهب ناضجة وآراء جديدة . فأخذ ينهل مما حوله موجهاً عنايته لدراسة الادب والمسرح الفرنسي على وجه خاص . فاستفاد من هذه الدراسة فائدة رأينا أثرها واضحاً في مؤلفاته .

والطور الثالث هو طور العمل . وقد بدأ على أثر عودته من فرنسا . فأخذ ينظم مقطوعاته النظمية الوجدانية ويؤلف قصصه وخواطره ومذكراته ويكتب نقده ورواياته . وفي هذا الطور أيضاً دفعه حبه للتمثيل أن مثل روايتين على المسارح المصرية . الأولى .

رواية « عزة بنت الخليفة » للكاتب القدير ابراهيم رمزي . والثانية « العرائس » لبيرولف وترجمة الأستاذ اسماعيل بك رهبي المحامي . وقد قوبلت جميع كتاباته الادبية والمسرحية كما قوبل تمثيله في الروايتين السالفتين بكل ترحيب وتحميد . والحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها أحد ان الفقيه كان يفتح بعلمه هذا فتحاً جديداً في الادب المصري والمسرح المصري .

وأهم شيء يدعو للاعجاب به والاكبار من شأنه مجهوده المتواصل ، المكال بالنجاح في سبيل ايجاد آداب مصرية بحتة بألوان محلية ، آداب تعبر عن أخلاقنا وعوائدنا وترسم لنا صورة صحيحة عن بيئتنا بما في هذه البيئة من فضائل وتفاصيل . وما رواياته المسرحية وقطعه القصصية (ماتراه العيون) إلا برهان ساطع على هذا المجهود الكبير الذي وضع به أول دعامة في أدبنا المصري الجديد ومسرحنا المصري الحديث .

توفي المرحوم محمد تيمور ولم يبلغ الثلاثين بعد . ولكنه ترك من بعده ارثاً صالحاً غنياً بما فيه من آراء ناضجة ، وأفكار حية جريئة ، وطرق لم يعهد لها ادبنا في النقد ، وأساليب فكاهي سلس أخاذ يدل على مقدرة فنية اختلفت به دون سواه . والذي كان

يمتاز به الفريد قوة ملاحظته الدقيقة . وهذا يفسر لنا براعته في تصوير النفوس البشرية ومناظر الحياة على اختلاف أنواعها .

مؤلفاته

واليك بيان مؤلفاته التي ألفها في مدة لا تتجاوز الستة أعوام ، والتي شهد له كل من اطلع عليها أنها تحفة نادرة في عالم الأدب المصرى الجديد .

الجزء الأول . وهو كتاب وميض الروح . ويحتوى على الكتب الآتية :

(١) ديوان تيمور . وهو مجموعة منظوماته . (٢) كتاب الوجدان . وهو مجموعة قطعه الأدبية من الشعر المنشور (٣) الادب والاجتماع . وهو مجموعة مقالاته الأدبية والاجتماعية . (٤) ما تراه العيون وهو مجموعة أقاصيصه المصرية . (٥) خواطر . وهي مجموعة خواطره عن الحياة . (٦) مذكرات باريس .

وهذا الجزء مصدر بمقدمة طويلة عن تاريخ حياة الفقيه وشرح أعماله بقلم « الناشر » .

الجزء الثانى . وهو كتاب حياتنا التمثيلية . ويحتوى على الكتب الآتية :

(١) تاريخ التمثيل وهو مجموعة مقالات عن تاريخ التمثيل فى

فرنسا ومصر . (٢) التمثيل الفنى واللافنى . (٣) محاكمة مؤلفى
الروايات التمثيلية. وفيها محاكمة المرحوم فرح انطون والاستاذ ابراهيم
رمزى والاستاذ لطفى يجمعه والشاعر الكبير خليل بك مطران .
(٤) تقدم الممثلين . وقد أتى فيه على نقد للريحانى والمرحوم الشيخ سلامة
حجازى وجورج أبيض وعبد الرحمن رشدى وعزيز عيد وروز
اليوسف ومنيرة المهدي وميليا ديان وغيرهم . (٥) مقالات عامة عن
التمثيل . (٦) القصائد التمثيلية (المنولوجات) . (٧) رواية « الهاوية »
وهي كوميدى دراماتيك مصرية أخلاقية ذات ٣ فصول ، مثلتها
فرقة ثرقية التمثيل العربى لأول مرة بمسرح الحديقة مساء الاربعاء
٦ أبريل سنة ١٩٢١ . أى بعد وفاته .

وهذا الكتاب مصدر بمقدمة طريفة للاستاذ زكى تليجات تكلم
فيها عن الفقيه كعامل ومؤلف للمسرح المصرى .
الجزء الثالث . وهو كتاب المسرح المصرى . ويحتوى على
الروايات الآتية :

(١) العصفور فى القفص . وهى كوميدى مصرية أخلاقية
ذات أربعة فصول مثلتها فرقة عبد الرحمن رشدى لأول مرة بمسرح
برنتانيا مساء الجمعة أول مارس سنة ١٩١٨ . (٢) عبد الستار
افندى . وهى كوميدى مصرية أخلاقية ذات أربعة فصول . مثلها

لاول مرة بمسرح دار التمثيل العربي الاستاذ عزيز عيد بفرقة
السيدة منيرة المهديّة في ديسمبر سنة ١٩١٨ .
وهذا الجزء مصدر بمقدمة لصديقتنا الاديب الفاضل محمود
عزى



Kelompok yang satu ini adalah kelompok yang

terdiri dari beberapa orang.

Yang satu ini adalah kelompok yang

ada



في القطار

صباح ناصع الجبين يجلي عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ
شبابه. ونسيم عليل ينعش الافئدة ويسرى عن النفس همومها . وفي
الحديقة تمايل الاشجار يمنة ويسرة كأنها ترقص لتقوم الصباح .
والنامس تسير في الطريق وقد دبت في نفوسهم حرارة العمل . وأنا
مكتئب النفس أنظر من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسي عن
سر اكتبها فلا أهتدى لشيء

تناولت ديوان «موسيه» وحاولت القراءة فلم أفلح . فألقيت
به على الخوان وجاست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنني فريسة بين
مخالب الدهر

مكثتُ حيناً أفكر ثم نهضت واقفاً وتناولت عصاي وغادرت
منزلي وسرت وأنا لا أعلم الى أي مكان تقودني قدمي الى أن
وصلت الى محطة باب الحديد وهناك وقفت مفكراً ثم اهتديت
للسفر ترويحاً للنفس . وابتعت تذكرة - درجة ثانية - وركبت
القطار للضيعة لأقضى فيها نهارى بأمله

جاست في إحدى غرف عربات القطار بجوار النافذة ولم يكن

بها أحد سواى وما لبثت فى مكانى قليلا حتى سمعت صوت بائع
الجرائد يطن فى أذنى « وادى النيل . الاهرام المقطم » فابتعت إحداها
وهممت بالقراءة واذا بباب الغرفة قد انفتح ودخل شيخ من المعممين



الشيخ المعمم

أسمر اللون طويل القامة نحيف القوام كث اللحية له عينان أقفل
أجفانهما الكسل فكأنه لم يستيقظ من نومه بعد .

وجلس الاستاذ غير بعيد عني وخلع ركوبه الاحمر قبل أن يترجع
على المقعد ثم بصق على الارض ثلاثاً ماسحاً شفتيه بمنديل احمر
يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير . ثم أخرج من جيبه مسبحة ذات
مائة حبة وحبّة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابّة والأولياء
والصالحين . فحولت نظري عنه فاذا بي أرى في الغرفة شاباً
لا أدري من أين دخل علينا . ولعل اشتغالي برؤية الاستاذ منغى
أن أرى الشاب ساعة دخوله

نظرتُ الى الفتى وتبادر لذهني أنه طالب ريفي انتهى من
تأدية امتحانه وهو يعود الى ضيعته ليقضى إجازته بين أهله وقومه .
نظر الى الشاب كما نظرت اليه ثم أخرج من محفظته رواية من روايات
مسامرات الشعب وهم بالقراءة بعد أن حوّل نظره عني وعن الاستاذ .
ونظرتُ للساعة راجياً أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر رابع
فاذا بأفندي وضاح الطلعة حسن الهندام دخل غرفتنا وهو
يتبختر في مشيته ويردد أنشودة طالما سمعتها من باعة الفجل
والترمس . جلس الأفندي وهو يبتسم واضعاً رجلا على رجل



الطالب الريفى

بعد أن قرأنا السلام فرددناه رد الغريب على الغريب
وساد السكون فى الغرفة والتلميذ يقرأ روايته والاستاذ يسبح
وهو غائب عن الوجود والافتدى ينظر للملابسه طوراً وللمسافرين



الافندى المعجب بنفسه

تارة أخرى وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يتحرك القطار قبل
أن يوافينا مسافر خامس
مكثنا هنيهة لانتكلم كأننا ننتظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة
ودخل شيخ يبلغ الستين أحمر الوجه براق العينين يدل لون بشرته

على أنه شركسيّ الاصل . وكان ممسكا مظلة أكل الدهر عليها
وشرب ، أما حافة طربوشه فكانت تصل الى اطراف أذنيه .



الشركسيّ

وجلس أمامي وهو يتفرس في وجوه رفقائه المسافرين كأنه يسألهم
من أين هم قادمون وإلى أين هم ذاهبون . ثم سمعنا صفير القطار
ينبئ الناس بالمسير . وتحرك القطار بعد قليل يقل من فيه إلى حيث
هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا نتفوه ببنت شفة كأنما على رؤوسنا
الطير حتى اقترب من محطة شبرا فاذا بالشركسي يحمق في ثم
قال موجهاً كلامه إلى :

— هل من أخبار جديدة يا أفندي ؟

فقلت له وأنا ممسك الجريدة بيدي :

— ليس في أخبار اليوم ما يستلفت النظر اللهم الا خبر اهتمام

وزارة المعارف بتعميم التعليم ومحاربة الامية

ولم يبهني الرجل أن أتم كلامي لانه اختطف الجريدة من يدي
دون أن يستأذني وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه . ولم يدهشني
ما فعل لأنني أعلم الناس بحدة الشرا كسة . وبعد قليل وصل القطار
محطة شبرا وصعد منها اعرفتنا أحد عمد القليوبية . وهو رجل ضخيم
الجملة كبير الشارب أفتس الانف له وجه به آثار الجدرى تظهر
عليه مظاهر القوة والجهل . جلس العمدة بجوارى بعد أن قرأ سورة



العمدة

الفاتحة وصلى على النبي ثم سار القطار قاصداً قلوب
مكث الشر كسي قليلا يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على
الارض وهو يحرق الأرم غيظاً وقال :

— يريدون تعميم التعليم ومحاربة الامية حتى يرتقى الفلاح الى
مصاف أسياده ، وقد جهلوا أنهم يجنون جنابة كبرى
فالتقطتُ الجريدة من الأرض وقلت :

— وأى جنابة ؟

— إنك ما زلت شاباً لا تعرف العلاج الناجع لتربية الفلاح

— وأي علاج تقصد ؟ وهل من علاج أنجع من التعليم ؟

فقطب الشركسى حاجبيه وقال بلهجة الغاضب :

— هناك علاج آخر

— وما هو ؟

فصاح بلاء فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :

— السوط . إن السوط لا يكلف الحكومة شيئاً أما التعليم

فيتطلب أموالاً طائلة . ولا تنسى أن الفلاح لا يذعن إلا للضرب

لانه اعتاده من المهد الى اللحد

وأردت ان اجيب الشركسى ولكن العمدة حفظه الله

كفانى مؤونة الرد فقال للشركسى وهو يتسم ابتسامة صفراء :

— صدقت يا بيه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت

أكثر من ذلك . اننا نعاني مع الفلاح مانعاني لنكبح جماحه ونمنعه

من ارتكاب الجرائم

فنظر اليه الشركسي نظرة ارتباب وقال :

— حضرتكم تسكنون الارياض ؟

— أنا مولود بها يابيه

— ما شاء الله

جری هذا الحديث والاستاذ يغط في نومه والافندي ذو الهندام الحسن ينظر للملابسه ثم ينظر لنا ويضحك. أما التلميذ فكانت تظهر على وجهه سيماء الاشمزاز . ولقد همم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حياؤه وصغر سنه . ولم أطق سكاتاً على ما فاه به الشركسي فقلت له :

— إن الفلاح يا بيه انسان مثلنا وحرام ان لا يحسن الانسان

معاملة اخيه الانسان

فالتفت الى العمدة كأني وجهت اليه الكلام وقال :

— أنا أعلم الناس بالفلاح . ولي الشرف أن أكون عمدة في بلد

به ألف رجل . . وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك .

إن الفلاح يا حضرة الأفندي لا يفلح معه الا الضرب ولقد صدق

البك فيما قال .

وأشار بيده الى الشركسي . فقال الشركسي وهو يبتسم

بإتسامة الساخر :

— ولا ينبؤك مثل خبير

فاستشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت فقال وهو يرتجف :

— الفلاح يا حضرة العمدة ...

فقاطعه العمدة قائلاً :

— قل « يا سماعة البك » لأنني حزت الرتبة الثانية منذ

عشرين سنة

فقال التلميذ :

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يدعن لاوامركم إلا بالضرب

لأنكم لم تعودوه غير ذلك . فلو كنتم أحسنتم صنيعكم معه لكنتم

وجدتم فيه أخا يتكاتف معكم ويعاونكم . ولكنكم مع الأسف

أسأتم اليه فعمد الى الاضرار بكم تخلصاً من اساءتكم . وانه ايدهنى

أن تكون فلاحاً وتنحى باللاءة على إخوانك الفلاحين

فهز العمدة رأسه ونظر للشركسى وقال :

— هذه هي نتائج التعليم

فقال الشركسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فانه قهقه ضاحكاً وصفق بيديه

وقال للتلميذ :

— برافو يا أفندي . برافو . برافو .
فنظر اليه الشركسي وقد انتفخت أوداجه وتعسر عليه التنفس
وقال :

— ومن تكون أنت

— ابن الحظ والانس يا أنس

وضحك عدة ضحكات متواليات

فلم يبق في قوم الشركسي منزع فصاح وهو يبصق على
الارض تارة وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة طوراً :

— أدبسيس . بس فلاح

ثم سكت وسكت الحاضرون . وأوشكت أن تهدأ العاصفة لولا
أن التفت العمدة للاستاذ وقال :

— أنت خير الحاكمين ياسيدنا فاحكم لنا في هذه القضية .

فهز الاستاذ رأسه وتنحنح وبصق على الارض وقال :

— وما هي القضية لأحكم فيها باذن الله جل وعلا ؟

— هل التعليم أفيد للفلاح أم الضرب ؟

فقال الاستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم . أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . قال

النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تعلموا أولاد السفلة العلم »

وعاد الاستاذ الى خموله وأطبق أجفانه مستسلماً للذهول .
فضحك التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا استاذ . ان بين الأغنياء والفقراء من هو
على خلق عظيم كما أن بينهم من هو في الدرك الاسفل
فأفاق الاستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم
أخلاقكم ونسيتم أوامر دينكم . ومنكم من تبجح وبغى واستكبر
وأنكر وجود الخالق

فصاح الشركى والعمدة :

— لك الله يا استاذ

وقال الشركى :

— كان الولد يخاف ان يأكل مع أبيه واليوم يشتمه ويهم بصفعه .
وقال العمدة :

— وكان الولد لا يرى وجه عمته والآن يجالس امرأة أخيه .
ووقف القطار فى قلوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت
فى طريقى الى الضيعة وأنا أكاد لأسمع دوى القطار وصفيره وهو
يعدو بين المروج الخضراء لكثرة ما يصيح فى أذنى من صدى
الحديث .
(٧ يونيو سنة ١٩١٧)

عطفة (ال.....)

منزل رقم ٢٢

عطفاة (ال٠٠٠٠) منزل رقم ٢٢

دخلتُ غرفةً عملي بوزارة (ال٠٠٠٠) وجلستُ أمام مكتبي
وأمسكتُ بجريدة « وادي النيل » اقرأ شيئاً عن السياسة وعن
الاخبار . وما لبثتُ في مكاني دقيقتين إلا وحانت مني التفاتة للباب
فرايت زميلي « أمين علي » يتدري السلام بقوله :

— صباح الخير يا ابو علي

فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه .
ثم تشاب زميلي فمشاءت . وقلت :

— جازاك الله يا أمين بالموت على ما بدر منك أمس . لقد
سقتني الى بؤرة كدت أن أموت فيها

— أينما الخطيء ؟

— الله أعلم

— دعنا من العتاب . تلك ليلة لا يسمح الزمان بثناها الا في
السنة مرة . ولولا تهافتك على الخمر وإكثارك من معاقرتها لما سألت
الله أن يجازيني بالموت على هذا الجميل الذي أسديته اليك
— ولكني مازلت أشكو ألماً في الرأس وتثاقلاً في الجسد .
ويا حبذا لو كان اليوم يوم الجمعة

— وماذا كنت تفعل ؟

— كنتُ أتناول مسهلاً وأزوم سريري طول يومى

— تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

ثم جالس أمين أمامى وأسند رأسه بيديه ونام أو استسلم للنوم .
فنظرتُ إليه وظهرتُ لى على وجهه صورة شنيعة ، صورة المدمن
الذى لا يفارق الحانات والمواخير وبيوت الفسق والدعارة إلا
عند الفجر . فقلت فى نفسى : « إن هذه الصورة المرثمة على وجهه
ما زالت مرثمة على وجهى أيضاً . إنه يحب الخمر وأنا لا أبغضها .
هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة فى كل مكان . فلا فرق بينى وبينه
الا أنه متزوج وأنا أعزب . ولكن الفرق ليس بالكبير لأنه لا يرى
امراته الا ست ساعات فى كل يوم يقضيها وهو مستلق على ظهره
بجوارها يغط فى نومه . فامراته فى نظره كالوسادة فى نظرى . فنحن
إذا فى مستو واحد »

ووظفت فى وزارة (ال) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى
اليوم الأول من الشهر الاول منها . واثبتت بعشرته وربطتني به
رابطة الاتفاق فى المشرب لارابطة الود والوفاء . ولكنى استشعرت
بعد أن قضيت معه شهرين على صفاء ووثام برابطة الصداقة تربطني
به وتربطه بى . وما لبثنا أن أصبحنا صديقين لانفترق الا بعد منتصف

الليل . كنت أشتغل معه في الوزارة وكنت أقضى معه عصر كل يوم في « سبلند بار » وإذا دنا وقت العشاء أكلنا سوياً في مطعم « أو بلسيك » أو مطعم « أركل » وكاسات الجمعة تحف بنحواننا . ثم تقضى الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة أبوابها للناس أجمعين . ثم يرجع كل لمنزله فكنت اسير معه الى باب بيته في عطفة (. . .) رقم ٢٢ واسير في طريقى لمنزلى وانا لا أوى على احد

كان هذا شأنى معه وكنت مسروراً من عشرته مغتبطاً بوفائه ومحبته . وظننت أنى سأبقى مستودع اسراره الى الأبد . ولم يحدث بيننا والحمد لله فى الستة الأشهر التى مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة

ثم أفاق أمين من نومه وأعطانى سيكارة أشعلتها بعد أن أشعل أختها لنفسه . ومكثنا هنيهة نفكر . ثم التفت الى وقال :

— آه من النساء

— انك ترتأى فيهن رأياً تخالف فيه سواد الناس

— أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدى (الملاية اللف)

— وأنا لا أكره الا هؤلاء

— يا للعجب أتكره هذا الصنف من النساء وبينهن من
يستهووين الافتدة ويمتلكن النفوس

— انى لا أرى فى ذات الازار البلدى الا امرأة قدرة مبتدلة

يأنف منها كل ذى ذوق سليم

— أشكرك . . . !

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

— ان بينهن نساء ذوات حسب ونسب يخشين الفضيحة

فيسترن بهذا الازار حتى لا يعرفهن أحد من أزواجهن

— أتظن ذلك ؟

— بل أعتقده وان شئت سردتُ لك حوادث وقعت لى مع

أمثالهن .

وابتدأ فى سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وظننت أن ليس

فى مصر من الاسكندرية الى اسوان امرأة عفيفة . فقلت له :

— لاثقة لى بامرأة بعد اليوم

— كل النساء خائبات وعبثاً الثقة بهن

فسكتُ ولم أنطق ببنت شفة . وما ذا يريد القارىء أن أقول

ووصدقى متزوج له امرأة يغار عليها . وكأ أنه فطن لما كنت أحدث

نفسى به فقال وهو يبتسم :

— ما الذى أسكتك ؟ أيدهشك أنى أرمى النساء بالخيانة

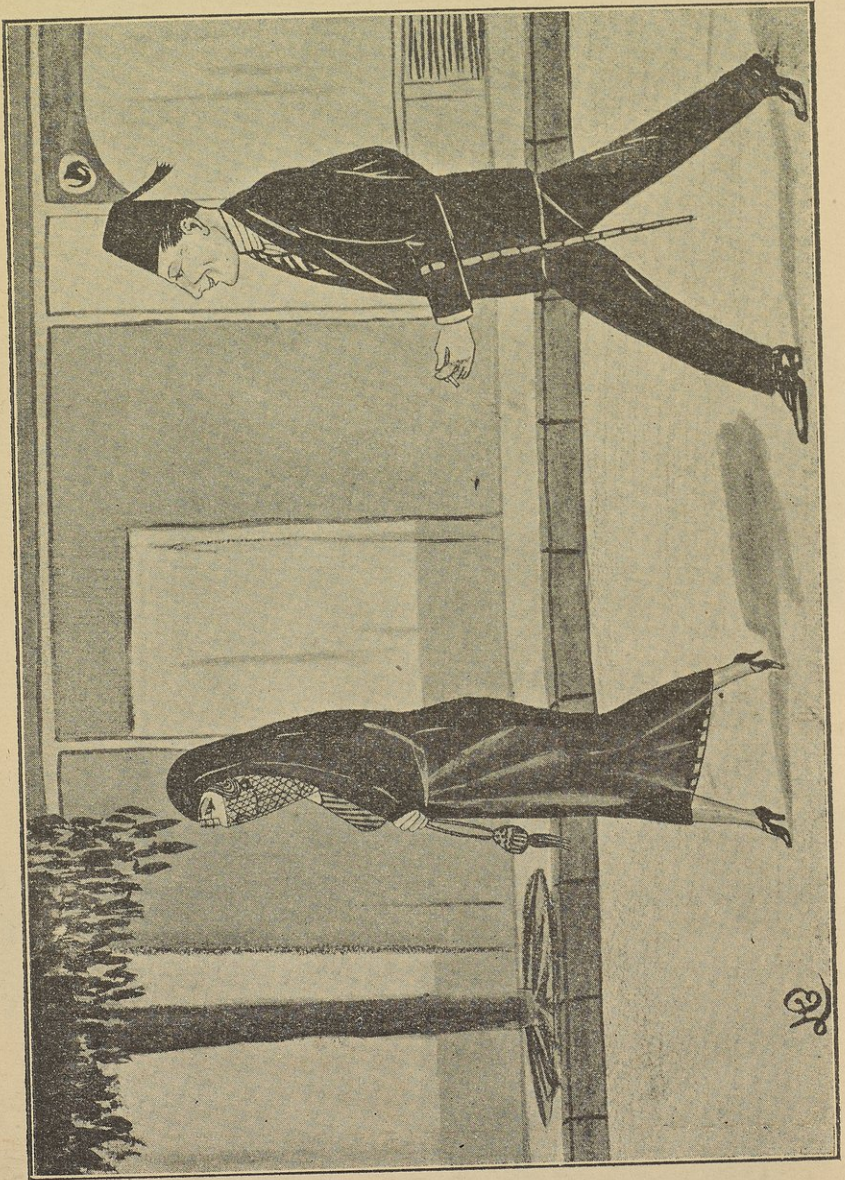
٣ - مآراه الميون

وبينهم زوجتي ؟ ولكن امرأى يا صاح في مأمن من كل ذلك لأنها
تعيش مع أمى ، وأمى من النساء اللواتى لا تفلح معهن شدة ولا رجاء .
ثم انقطع حديثنا وقام أمين لمكتبه وابتدأت أن اشتغل قليلا
بعد ان سألت الخادم ان يأتينى بفنجان قهوة

غادرت الديوان وذهبت لا تناول الغذاء فى المنزل ثم خرجت
عصر ذلك اليوم للقاء أمين فى «اسبلندبار» . وانتظرته هناك نصف
ساعة ثم مللت الانتظار فقممت لا تمشى فى شارع بولاك . فاذا به يهوج
بالناس من مصريين وفرنجه . ومنهم من يتبع النساء ومن النساء من
يدخلن حانوت «شكورييل» أو «شمالا» لشراء حاجياتهن أو بحجة
شراء ما تتوق اليه أنفسهن . ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازاراً بلدياً
وتذكرت حديث أمين فى الصباح وقلت فى نفسى ماضرنى لو
تبعتهما ، وقد أعجبنى قوامها النحيل ولحظها الفاتك . ووطدت العزم
على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمتم عليه

سرت وراءها طويلا الى ان وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة
التي يعرفها كل من اعتاد التنزه فى شارع بولاك . وهناك اقتربت
منها وقلت لها :

— لقد حق لى ولك أن نستريح فعلا من الاسراع ؟



فنظرت الى ولم تجب . ثم سارت في طريقها فقلت لها وقد
شجعتني نظرتها :

— الى أين؟ خففي من سرعتك أيها الملاك الجميل .

فالتفت الى مرة ثانية وابتسمت . ثم سارت على مهل فسرت
معهما جنباً الى جنب وقرأتها السلام . فقالت :

— علام تقفني أترى

— لأحظي منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت مني عدة كلمات فدعني وسر في طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :

— يالك من أبله

وتحادثنا طويلاً . ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت
ببشاشة وسرور . ورجعنا أدرأجنا الى محطة المترو . وصلنا مصر
الجديدة بعد عشرين دقيقة . ودخلنا لونا ببارك وصعدنا على الجبل
الروسي راكين القطار الصغير . فكانت تمسك بملابسي كلما صعد
بنا القطار أو هبط . وغادرنا لونا ببارك فأظهرت لي عند بابها الميل
للعودة الى القاهرة، فقلت لها وأنا أستعطفها :

— علام هذا الاسراع والساعة لم تدق الساعة بعد. أينظرك
أحد في المنزل؟

— كلا ان زوجي لا يتعشى في المنزل

— فلنقض معاً اذا ساعة أخرى .

وقد قضينا تلك الساعة في مكان يظهر أنها لم تكن تجهله ولم

يكن يجهاها

ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البسفور.

ولما وصلنا لميدان عابدين سألتني أن أغادرها هناك فأجبتها لسؤالها

عن طيبة خاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعتها بعد ان

تواعدنا على اللقاء بعد يومين

ثم تركتني وسارت في طريقها بعد أن استحلقتني أن لا أتبعها.

ولما كادت أن تغيب عن عيني قام بنفسى أن أعرف أين تسكن

حتى اذا ما أخلفت موعدها معي انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها .

ولما اقتربت منها سألت الله أن لا تلتفت فتراني . فاذا بي أراها بعد

قليل تسير في عطفة (...) فدق قلبي دقات متوالية . ثم وصلت

للمنزل رقم (٢٢) والتتمت لئري إن كان هناك أحد يتبعها ولكنها

لم تتبينني في الظلام لان الشارع لم يكن من الشوارع المضاءة. ودخلت

المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كاسف البال .

ياللعار لقد ارتكبتُ أمماً هائلاً ولكنني لم أتعمد ارتكابه .
لقد أصبحتُ حليمةً صاحبي خليمةً لي . ولكنها كانت خليمةً سواي
من قبل

في الغد ذهبْتُ للديوان وجلستُ بجوار امين وتحدثنا كالعادة
وذهبنا عصرأ « لسباندبار » وتناولنا العشاء في « أبليسك » وقضينا
ليلتنا معاً في ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث
شيء بالامس

(١٨ يونيو سنة ١٩١٧)



بيت الحرام

بيت الكرم

أسرة مجدى مشهورة فى مصر بالثروة والجاه يؤمها المستغيث
ويقصدها كل ذى حاجة . توفى ربهـا المرحوم عبد الله بك مجدى
عن ستين عاماً قضاها - كما قالت الجرائد - فى عمل الخير والبر
والاحسان ، تاركاً ولدين يبلغ أـكبرهما الثلاثين والآخر لا يتجاوز
العاشرة وثلاث بنات أبكار لم تسعد أـكبرهن بعد بالزواج
ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تزيد عن الفى فدان أضع
معظمها حباً فى الحجر وسعيّاً وراء النساء فلم يترك لأولاده بعد موته
إلا ثلاثمائة من الافدنة وعشرة من الرفاق كان ينفق عليهم من حر
ماله وكانوا يقضون معه الليل والنهار ليأتس بحديثهم ويقتل الوقت
معهم . وأصبح الولد الاكبر - محمد بك مجدى - بعد وفاة أبيه
رئيس اسرة مجدى . وناهيك عن قيمة هذا اللقب فى أعين الرفاق
العشرة بعد أن وجدوا فى الولد خير خلف لابيـه فاقبوه بابن العز
والأمانة ورب البيت الذى لم يعلق بابه فى وجه سائل . ولم يكن
تلقى محمد بك من العلم والتربية ما يلهمه أن يضرب بأقوالهم عرض
الحائط . وأوحى اليه الجو الذى نشأ فيه أن لا يحيد عن الخطة التى اختطها
أبوه لنفسه من قبل . فرحب بالرفاق وجلس بينهم كما كان يجلس

أبوه في صدر المكان وهم حواليه يكاد يدفعهم الخشوع والامتثال
إلى الركوع والسجود

نزل محمد بك من الحريم إلى (السلمك) وهو مرتدجلاية بيضاء
مخططة وعباءة من الحرير الأبيض وكان عارى الرأس متنفخ
العينين وقد نسج السهر لكل واحدة منهما إطاراً أحمر لوراء
طفل صغير في رابعة النهار لولّى الادبار خائفاً أن ينقض عليه ذلك
البعبع فيهشم عظامه أو يسيل دمه

مشى محمد بك مشية الزهو والتميه يميل به الإعجاب بنفسه
ويرنح عطفه احتقاره للناس. ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة !
وهو الغنى العظيم ابن الكرم والسيادة وبيته مأوى البؤساء وملجأ
الفقراء. وكان في ذلك اليوم مقطب الوجه عابساً ساهماً وذلك لزيارة
وسيط وافاه في الصباح يطاب يداخته الكبرى لابن أحد البيكاوات.
وهل يسمح محمد بك بذلك ولأخته حصه فيما تبقى من تراث أبيه
يصرف ريعها على الحفلات اليومية التي يقيمها كل ليلة في بيته هو
ورفاقه الكرام، أستغفر الله بل عبيده المخلصون. وصل محمد بك
«للسلمك» وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه إلا الساعة



محمد بك مجدى

السادسة. وكان من عادته النوم بعد الغذاء . ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة في انتظاره وقد تهيئوا للقائه . فجلس بينهم وهو تأته النظر وقد تعمد ذلك حتى لا يقال إنه يتنازل لرؤية أحدهم . ثم نادى الخادم وأمره أن يجيء بزجاجات الوسكي . وقام الخادم بما أمر به حق قيام . وتناول كل واحد قدحه وشربوا نخب البك

وقام أحدهم واقفاً ، وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة (.....) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الخمر والقيام بأودامرته فالتجأ لمحمد بك ، وليس شيء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجئ إليه من يظهر التقاى في محبته والخضوع لآرائه والحاجة العظمى للماله وطعامه . وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكبات الظريفة المستملحة يتربص الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فمه فتقع في قلب مناظره كما يقع السهم الصائب في ثنايا الصدر . ولم يكن في تلك الحاشية التي جمعها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلمهم متنافرو المشارب مختلفو الاميال ولم يتحدوا الا على كسب أموال البك حلالا كان ذلك الكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك :

— سيدى وولى نعمتى . هل لديك الشريفة أن تتناول

الكمنجة ...

ولم يمهل البك أن يتم قوله فنهزه قائلاً :

— كفى مجوناً وهذراً ؟

اندهش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أنه يجب من
يتغنى بشهرته الواسعة في الكمنجة . اندهش الجميع وسكتوا ولكن
شيخنا الكبير لم يندهش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفائز وقال
وفي صوته رنة الرجاء والاستعطاف :

— الناس لاتشك في هزرى ومجونى وهم أيضاً لايشكون في
نبوغك وعبقريتك . فهل لسيدى أن يتنازل ويشنف آذان عبيده .

ونظر البك للسماء ماداً يده لوجهة الشيخ

ففظن صاحبنا لما يدور في خلد البك فمشى على أطراف أصابعه
الى ان وصل لتلك اليد الشريفة وتناولها في يده وقبلها مراراً وهو
يرجو ويستعطف

فقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه . ولم يكن حفظه الله
حائقاً على عبده ولكنه كان ممن اذا رجاهم أحد ودوا لو كرر
الرجاء مرات عديدة . وبينما كان البك يشنف آذان رفاقه دخل
عليهم فريق آخر هلالوا لقدمه وصفقوا . ولكن البك عبس في وجهه
وصافحه مصافحة جفاء وغضب . فانقلب تهليل الجماعة الى نفور
وازدراء . واستمر البك يضرب الكمنجة ورؤوس الرفاق تميل طرفاً

الى أن انتهى فألقى بها على الخوان ونظر للقادم نظرة تجسم فيها
البغض . وقال :

— ما هذا الجفاء يا سعادة الباشا

فابتسم الحضور لتقريع البك وسكت الرجل . فقال البك :

— علام السكوت ؟ أين كنت وعلام تأخرت ؟

— كانت امرأتى تلد

— لقد وضعت باذن الشيطان كلباً

فقهقه الحضور وتمايلوا بأجسامهم . وكانوا يضحكون ارضاء للبك .

وليس شيء أقبح من وجه من يتضحك . ولكن البك كان يتغافل

عن كل ذلك تغفيلاً لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه

فقال البك :

— أنك تكذب . أنت تنكر النعمة التي أسبغناها عليك

— حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

— صه اياك والكلام . انى أعرف أين كنت أمس

وسكت الرجل وهو برىء لم يرتكب اثماً . وهل في ذهابه

لبيت ابن عم البك مرة في الشهر اثم كبير ؟ ولكن البك كان من

الاغنياء الذين تشبه أخلاقهم أخلاق النساء . فتراهم يغيرون اذا

ما التجأ أحد حاشيتهم مرة في حياته الى أحدٍ سواهم

وقام الرجل المسكين وقبّل أقدام سيده ومولاه فصفح عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكرًا وهي أن يقوم هذا البائس ويقبّل أيادي الرفاق أجمعين ثلاثًا بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة. وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلها السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة. ثم قاموا جميعًا وتناولوا العشاء. وعادوا للراحة في غرفة الاستقبال. ولبثوا سكوّتا، منهم من أسند رأسه على كتف صاحبه مستسلما للكبرى، ومنهم من انتهز الفرصة وتناول كأسًا من الوسكى دون أن يراه أحد، ومنهم من جالس يفكر في حيلة يُضحك بها البك لينال رضاه. أما البك حفظه الله فكان كلّيت لا يعي شيئًا. وهذا حال كل رجل بدين الجسد إذا أكل ولم يحاذر في أكله

ثم أفاق البك ونادى أحد الرفاق، وكان فتى في مقتبل العمر جميل الصورة أهيف القد إذا مشى تثنى كما يتثنى الغصن وقد لعب به النسيم. وكان البك يميل لمحدثته على انفراد لعذوبة أنفاظه ورقة حديثه فكان لا يصبر على فراقه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه في غرفة من « السملك » حتى إذا احتاج لرؤيته لا يلبث أن يراه.

ناداه البك قائلاً :

— أين عودك يا صديقي . أمسك به وشنف آذاننا جميعاً .
فتناول الفتى العود وابتدأ في الضرب وغنى لحنا تناول البك عند
سماعه الكهجة . واشترك في الضرب والغناء معه . وقام الرفاق برقصون
حتى اذا أعيانهم الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طرباً كأنهم
يسمعون «عبده» أو «عنان» . وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل
يبلغ الخامسة والاربعين يلبس منظاراً اسود يحجب عن الناس ما في
عينيه من شر وحسد وحقد . وسلم على الجميع بعد أن قبل يد البك .
وقام البك واقنار رؤيته وعانقه ، والرفاق في دهشة . وكيف لا يدهشون
والقدام صعلوك من حكم عليهم قديماً بالحبس للتزوير والاختلاس .
وجلس الرجل بجوار البك وأسر إليه كلمات ابتم لها البك وتهللت
أسارير وجهه . ولما رآه الرفاق يسر للبك شيئاً ابتمعدوا قليلاً . فقال
الرجل لسيدة :

— قد انتهى كل شيء ،

— كم في المائة

— ثلاثون

— بورك فيك

وعاد البك للغناء والضرب على الكمنجة والرفاق للرقص
والتصفيق

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول البك للمرايين لرهن مائة
فدان هي البقية الباقية من تراث آبائه . وهل يتسنى لمن كان يمتلك
ثلاثمائة فدان أن يعناد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماعة
يستأجرهم لتقبيل يده والتغنى بكرمه وجوده دون أن يرهن ماعنده
ليفقدته صفقة خاسرة .

وهب بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس البك فقال
وهو يبتسم :

— لو من الله على بألفى جنينه لكنت أشتري بها منزلا في
رمل الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام .

وتنهّد البك آسفاً على ذلك المنزل الجميل . فقال أحد الرفاق :

— لا تيأس ياسعادة البك من رحمة الله سوف يمن الله عليك

بما تريد

ولم تقع هذه الجملة موقعا حسنا عند البك فغلى الدم في عروقه

وقطب وجهه استياءً ، ثم صاح :

— يالك من غر أحق بمنّ الله على ! أتظن أني فقير أيها المجنون

وحق للبك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذي يغيب
الفقراء ويحجب الضمياء . فقام إليه الزائر الجديد ذو المنظار الأسود
وحاول أن يزيل غضبه . ولكن البك لم يقتنع بشيء وكاد بهم
بضرب من أتممه بالفقر والاحتياج لمعونة الله . وعزز الرفاق سيدهم
وسقط الرجل في يده وخرج من الغرفة وهو يتعثر في أثواب خيخته .
وجلس البك وهو يرغب ويزبد . ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً إلى أن
زال . وعاد الجمع للعزف والغناء والرقص . ودارت الكؤوس ولعبت
الخمر بارؤوس فكنت تسمع في الغرفة النكات تتلو النكات والشتائم تتبع
الشتائم إلى أن تملك التعب على القوم نفوسهم فاستسلموا إليه وسقط بعضهم
على الأرض لاجراك به . واستأذن من تبقى له شيء من قوته تحمله
إلى بيته إلى أن خلا المكان إلا من النائمين . وكان البك ملقى على
مقعد ويجواره الزائر ذو المنظار الأسود يفتش في جيوبه . ولما انتهى
من عمله نادى ادريس البربري ليحمل سيده إلى الحرم

* * *

فرغ صديقي من قصته فالتفت إلى وهو يقول :

— ماذا تقول في هذه القصة ؟

فتنهدت وقلت :

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى

فأكرم بهم وأنعم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الأغنياء.

لقتل وقتهم وضياع ثروتهم

— وهل هناك طرق أخرى ؟

— هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء في الجزيرة وهناك أقص

عليك قصة أخرى . فخرجت معه وكلى آذان مصغية لمديته

(٢ اغسطس سنة ١٩١٧)



حفلة طرب

حفلة طرب

كنتُ شغوفاً بالحفلات الموسيقية (الكونسير) أيام كنت
في باريس لا تفوتني من لياليه ليلة تجمع بين الاناشيد الشجية
والالخان الفكاهية والوجوه الواضحة والقدود المائسة والعيون
الضعيفة القاتلة . هناك كنت أمتع عيني بالجمال الذي صاغته يد
الخالق في وجوه الحسان واملاً قاي لذة يمازجها الطهر وأذني
ألحاناً جميلة ينفسح لها الصدر

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم . والآن أنا بمصر
محروم من تلك الجبابة المشرقة والوجوه اللامعة والغرر المتألقة
والالخان الشجية الجميلة . وما أحوجني الى رؤية شيء منها ان لم يماثلها
جمالاً وحسناً فلا أقل من أن يكون باعثاً من بواعث الذكري تهبج
في قلبي ناراً كاد أن يطفىء أوارها النسيان

جلستُ أمس في مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق
النفس للقائه ويتأجج الصدر عطشاً لرؤيته . وكان بينهم صديق لم
تره عيني منذ سنين فكنت أجاذبه أطراف الحديث وكلني آذان
صاغية له . ولبثنا نتحدث الى أن أخرج ساعة من جيبي ونظر فيها
ملياً ثم قال :

— هيا بنا لقد دنا الميعاد

فقلت : وأى ميعاد ؟

— أنا على موعد مع أحد الاصدقاء لسماع مغنية جديدة . فهل

لك فى مرافقتى ؟

فأجبتَه لمطلوبه واستأذنا الجماعة ومشيت معه جنباً لجنب

وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شاباً ينتظر ، قدّمه الى

صديقى ، فابتدرز بقوله :

— اترجع ادراجنا الى منازلنا

فقال صديقى : وعلام ؟

— ان السيدة (. . .) لاتغنى هذه الليلة

وحانت منى التفاتة الى القهوة فقلت :

— ولسكنى أرى سيدة جالسة على (التخت)

فقال الشاب :

— يا للعجب لقد تأخرت اذاً عن ميعادها ربيع ساعة .

فقلت لنفسى وانا ابتسم (يا للعجب أول القصيدة كفر) .

وابتعدنا تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق لسماع المغنية . وأخذنا

مجالسنا بين الجمهور وجلسنا وكان على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء جمعت من شتات الناس المطربش
والمعتم ولا بس الجلابية الزرقاء ، جماعة مختلفى المشارب خارج القهوة
متحدى الأميال فيما تعوزهم ريشة المصور لترسم للناس الصور



المغنى الاول

المضحكة المبكية التي تبدو على وجوههم . ثم نظرت لجماعة المعنين
وضحكتُ حتى كدت أن ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية
وجه المغنية الفاتنة التي كانت تبسم للجميع وتحييهم أجمل تحية .
المغنى الاول شاب اسود البشرة يظهر لى أنه من أم زنجية



﴿ المغنى الثانى ﴾

وأب مصري أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال العنابر
فى مصر . له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته العليا وعينان سوداوان
بهما جمال عبثت به يد السهر والخمر وشارب قصير كروش فرشة
تنظيف الأسنان . وكان مرتدياً بدلة بيضاء وبها بقع سوداء . فما
أقرب شكله لشكل الفرس الأبلق .

والثاني رجل مغلق الأجنان يجتهد فى فتحهما كلما دعتة الحائلة
فتعييه الحيلة . له فم اذا فغره خلته بئراً وأذنان كبيرتان وذقن طويلة
تهتز مع رأسه كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر . فما
أشبهه بحلاق من جهة سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرزق
فى قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلاً مرتدياً جلابية بيضاء وحزاماً من
المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطربوشاً من غير (خوصة) .
لم يحلق لحيته منذ أيام فظهرت شعورها فى وجهه كما يظهر النجيل
فى الارض القحلاء . وكان اذا أنشد أخذ فيه شكلاً هندسياً يشبه
المعين . اذا نظرت اليه ظننت انه (منجّد) ملك عنانه حب الغناء فأتى
الى القهوة ليشنف آذانه ودفعه ذلك الميل الغريزى لامطاء الدكة

المعدة للمغنين فجلس عليها يساعد الجماعة على اخراج الاغانى
صحيحة خالية من العيوب



المغنى الثالث

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تفارق عيناه
أديم الأرض ولعله من المصابين بداء الحياء الشديد. ولهذا لم يتيسر
على أن أنقرس في ملامح وجهه لأصغها للقراء . فهو رجل كما تقول
العامية في (حاله) ولهذا ندعه في حاله

أما الخامس فهو شيخ أحنث الايام ظهره فاصبح كالقوس .
يداعب المغنية من وقت لآخر ولا أدري لماذا . له طربوش تظهر
منه شعور كتلك الشعور التي أبقتها يد التحنيط على رؤوس الجثث
المحنطة في دار الآثار المصرية، مرتدياً بدلة يحار فكر الناظر أمامها .
فمن قائل أنها بدلة عادية ومن قائل أنها رديجوت قصيرة ومن قائل
أنها من نوع جديد سوف يحذو على منواله كل حائك في مصر فلا
تلبث ان تصبح الموضة المصرية الجديدة بعد أن انقطعت عنا في
أيام الحرب موضة باريس . وهو أشبه الناس بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه متفتخ تغار
فيه عيناه البراقمان. تظهر عليه بعض مخايل الوجاهة ولا أدري لماذا .
ولعل ذلك لأنه حامل العود، والعود سلطان الالات الغنائية . وأما
حامل القانون فهو شاب جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام
يظهر عليه انه كان غنياً ثم أناخ عليه الدهر بكل كاله . اذا لمست يده
أو تار القانون اهتز جسمه بأجمعه مع اهتزاز النغمات وتصلت شفتاه

وتقطب وجهه . فكأنه يبكي أيامه الماضية وثروته الضائعة
وأما حامل الكمنجة فهو شاب فى ريعان الشباب أصفر الوجه
له شارب طويل يرتفع طرفه الايمن الى أعلا وينخفض طرفه الايسر
الى أسفل . وجه ليس فيه شىء من التناسب بين طوله وعرضه
وجبهة خليقة بأن تكتب عليها بالثلث عناوين الادوار . فما أشبهه
بمحررى بعض الجرائد فى مصر

أما الاخير فهو يافع لا أدرى لما ذا أتوا به . يذكرنى بيافع
آخر كان يمر على قهاوى العاصمة ليبيع السجائر (الفنتزية) التى
إذا أشعلتها طار منها شعاع يخيف الاطفال الصغار

أما المغنية فهى امرأة ذات جمال أغريقى فى نحو الثانية والثلاثين
من عمرها . قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاحة الطلعة سافرة الوجه
حريديّة ملأة سوداء تصل أطرافها الى ركبتيها فتزيد بها رقة وحسناً .
لها فم جميل لانفارقه الابتسامة فكأنما تتساقط منه زهور
الترجس والورد . ولها شفقتان تتعدد أشكالها كلما غنت فتارة تظهر
عليهما صورة الاستعطف وطوراً صورة الاعراض وأنا صورة الخنو
والامثال وآونة صورة التيه والاعجاب . تغنى ثم تضحك وتضحك
ثم تغنى . وتبتسم ونحجل . ولا أدرى لماذا تحجل ولماذا تبتسم
ولماذا تضحك وان كنت أعرف لماذا تغنى .

ويخيل لي انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتحدتك
خارج القهوة وهي جادة في قولها يذهب عن وجهها ذلك الجمال
الساحر والدلال القاتل . يشفع ابتسامها الجميل في ضعف صوتها .

اتهى الغناء وخرجتُ مع صاحبي فسمعت عند باب القهوة
رجلا يقول :

— هذا غناء يتخلله ضحكك وابتسام

فقلت في نفسي :

— لقد أخطأت يا صاح هذا ضحكك وابتسام يتخللهما غناء

(اغسطس سنة ١٩١٧)

صفاة العید

صفارة العيد

العطفة التي نتكلم عنها طويلة ضيقة خالية من الأرصفة بتدريء.
بحايط سميك وتنتهى عند الشارع الكبير حيث ترى على يمينها
قصرأ فخماً يخاله الناظر سجيناً أعد للمجرمين وعلى شمالها قبراً لشيخ
وهى تقف أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وهم ينظرون للسماء
نظرة رجاء وابتهاال ثم يمسحون وجوههم بأيديهم ليم الله نعمته
عليهم . واذا سرتَ فيها فبلغت منتصفها وجدت (أم مليم) بائعة
الطعمية والسلطة والسكرات جالسة القرفصاء أمام حانوتها المكون
من قفص تعرض عليه ما تبيعه اسائق عربية (السكرارو) ولابن
السبيل والفاعل . واذا اقتربت من بدايتها أى من الحايط السميك
الذى يقف فى وجه المارة ليمنعهم من المسير وجدت شجرة كبيرة
يتفياً ظلها كل من تعب وتملكه الأ نضاء . أما اذا أسرعت فى
سيرك خشيت أن تعثر فى هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن
عشرة سنتيمترات أو فى القاذورات التي تلقى بها أيدي المارة بلا
خوف ولا حذر . أما القصر فهو لأ حد البشوات الذين أبوا أن
يهجروا الحى الذى نشأ فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم
يجلس على باب الخصى واضعاً رجلا على رجل وممسكاً بمسبحة يستعين
بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم ولا ملال . وهو شيخ فى

الخامسة والحسين من عمره . له شفاء تشبه قطع (البفتيك) التي تقدم لك في مطاعم العاصمة ، وعينان يزداد احمرارهما كلما (أخذته الجلالة) فنطق باسم الله العظيم ، وأنف أفتس كأنه ضفدعة وجدت في وجه الخصى منبتا حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز كما يهتز الفيل

نحن في اليوم الأول من أيام العيد والناس في هرج ومرج والأطفال يلعبون في الشارع وقد أمسكوا بالأعيبيهم وارتدوا ملابسهم الجديدة وتسامروا وهم يضحكون ويقفزون . والآباء انشروحت صدورهم ومشوا في الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) . وكان بين الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة لهم وعن رثائه لنفسه لحرمانه من سرورهم وسعادتهم . وكان خجولاً من لباسه القدر وأقدامه الخافية . يقف بجوارهم ثم يضع يديه خلف ظهره ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته اياهم سرور العيد وليس في ذلك بأس عليهم وهو طفل مثاهم يبكي اذا ألمّ به ضرر ويضحك أن نال ما تصبو اليه نفسه . وأنى له أن ينال بغيمته ، وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فعاله عمه . وأين حنو زوجة

العم من حنو الام ! مشى الأطفال الهويناء ثم غادروا العطفة
وتواعدوا على العدو في الشارع الكبير . وجروا فيه أشواطاً عديدة
فسقط أحدهم على الأرض . فأسرع اليه رفقاؤه وهم يضحكون كما
تغرد العصافير وعاونوه على النهوض من سقطته فقام وهو كالح
الوجه كاسف البال وقد جال الدمع في عينيه . ولكنه لم ينس أن
اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض . فما لبث أن نسي
سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون .
أما اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التي كانت تدب
في جسمه فتطفئ نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الأطفال الشارع الكبير ومشوا في العطفة وهم
يضحكون وينشدون الأناشيد الصبائية الى أن وصلوا للشجرة
الكبيرة وهناك صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك تمر الباعة . فيها بنا
نعود من حيث أتينا .

وتسابقوا وقد علا صياحهم في الفضاء

ومررت في الشارع الكبير في تلك الساعة عربية (كارو) وقد
ركب عليها سائقها وهو شاب يشبه جسمه المكعب . له رأس لها
أربع أركان يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو يعنى

أنشودة بلدية جميلة (أسمر سمر صغير السن لوعنى) . ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفتيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوق . وعادت الأطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى العطفة وهي ملجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يجول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفايرهم ويفنون . وتلك لعمرى موسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية لتنافر نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة واقترب من رفقاته وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر اليه أكبرهم سناً وقال له
يملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون . وقال ثان :

— أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث :

— كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . ليرقص من ليست معه

صفارة

ونسكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح

٥ - ماتراه الميون

معهم وضرب صفحاً عما سمعه كأن لم يعرض به أحد .
وفي تلك الساعة مر استاذ قصير القامة طويل اللحية يسير
الهُويناً في طريقه وهو يداعب لحيمته بيده اليسرى ومسبحة بيده
اليمنى . فهرعت الأبناء للقائه وهم الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده
بينما كان الآخرون يقبلون أطراف جيبته . أما الشيخ فهو رئيس
الطريقة النقشبندية وهى طريقة تحتم على أشياعها أن يذكر كل واحد
منهم لفظ الجلالة مرة في كل عشرة دقائق . توفى شيخها القديم
منذ خمسين سنة بعد أن نقشت التقوى على صدره اسم الجلالة
ولهذا سميت طريقته باسم النقشبندية .

ثم مر بائع الحلوى فهرعت إليه الأطفال وجرى معهم اليتيم
ولكنه كان فى مؤخرتهم فمد إليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلاً :

— خذ

فأشار على برأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فالتقى بقطعة
الحلوى على الأرض فالتقطها اليتيم وأعطاهما لكلب جائع كان
يبصص له بذنبه . وغادر اليتيم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه
صورة البؤس ممزوجة بصورة عزة النفس ولحق برفقائه وهو وحيد
القلب وان كان كثير الرفقاء . أما رفيقه الذى أعطاه قطعة الحلوى
فقد مشى وهو يهز كتفيه ويصعر خده أنفة واستكباراً .

ثم حانت الفتوة من الأطفال الى الشارع الكبير فوجدوا محموداً (الفتوة) قادمًا عليهم فصاحوا جميعاً (محمود السبع حضر . محمود السبع حضر) وصفقوا بأيديهم فابتسم لهم محمود وكان (فتوة) عطفهم وسار في طريقه على مهل ساحباً أذيال الخيلاء وملوحاً بعصانه في الهواء كما يلوح الفارس بسيفه . وكان ضخم الجثة قوى العضلات له في المشاجرات القسط الأوفر والفوز الاكبر . مشهور بين فتوات العطفات الاخرى ولذا لقب (بمحمود السبع)

نظر اليه الخصى نظرة امتهان وامتعاض فقهقه محمود ضاحكاً حتى استلقت أنظار المارة . وبصق الخصى على الأرض وكان هذا أكبر مجهود يقدر على فعله لأهانة محمود . ثم صاح أحد الأطفال :

— المصارعة . المصارعة خير مما نفعل . ومن يتفوق على

نظيره يأخذ صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال الآخر :

— وليكن محمود السبع حكماً بيننا

فقال محمود :

— بلا شك

وقال رابع :

— ولكن علينا (اليتيم) لا يملك صفارة .



من أجل صفارة العيد

فصاح الطفل الذي رمى لعلى بقطعة الحلوى :

— سأصارعه فان تفوق على أعطيته صفارتى وان تفوقت

عليه صفعته على وجهه أمام الجميع

فصفق الاطفال استحساناً وقطب على وجهه وشمر عن ساعده.

فكننت ترى عند التحام جسمه بجسم رفيقه صورة غريبة ارتسمت

على وجه كل واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثاني يدافع

عن شرفه . والفرق بين الصفارة والشرف كبير . وتغلب على على

رفيقه وألقى به على الارض وهو ممسك بتلابيبه . وفرق بينهما

الرفاق فقام على وهو رافع الرأس وقال :

— أين الصفارة ؟

فقال محمود السبع للمغلوب :

— اعطه الصفارة .

ثم أدار وجهه عن الاطفال وذهب للقاء صاحب له . فأخرج

المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد ومد يده الى عدوه فأخذها

على ووضعها في فمه كما يضع الظمان حافة الكأس الثلج بين شفثيه

وكانه امتلك العالم بأجمعه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون

ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤون به ولا يسخرون منه

وهو ينفخ في صفارة لم يشتريها بماله . فألقى على بالصفارة على

وجودهم وسار على مهل وهم يصفقون خلفه . وابتعد عنهم فلم
يشاؤوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية العطفة حيث يكثُر
الباعة فسار اليتيم الهوينى الى أن وصل للشجرة الكبيرة وهناك
وقف هنيهة كأنه يفكر ثم جلس في ظل الشجرة وقد أسند ظهره
الى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد العطفة ففرد كقلبه
فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول : (أماء . أماء . أبتاه) بينما
كانت الاطفال تغنى فى الشارع الكبير

ثم أفق بعد هنيهة فوجد الكلب الذي ألقى بقطعة الخلوى
اليه جالساً عند رأسه يلحس دموعه بلسانه الظامى .
(أغسطس سنة ١٩١٧)



ربي لمن خلقت
هذا النعيم؟

ربي لمن خلقت هذا النعيم؟

(هذه القصة لمويسان الكاتب الفرنسي الشهير بدّل المغرب
أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها ممصراً كل شيء فيها فلم يبق
من الأصل الا روح الكاتب واتباع المغرب في ذلك خطة تو لستوى
في قصصه التي نقلها عن مويسان)

محمد بك عبد القادر رجل في الخامسة والחסين من عمره أفتى
الأف نف أسود العينين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن لحيته .
إن مشى يسير الهوينيا وان جلس يتربع على كرسية بعد أن يخلع
خفيه . يرتدي الرذنجوت ولا يحب سواها من الملابس الافرنجية
لأنها أقربها شكلا لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم في كل أقواله
وأفعاله يذب عن الدين كلما تعرض له ملحد لا يتقى الله في دينه ولا
دنياه . ويدافع عن حجاب المرأة في كل مجلس يتناقش فيه أصحاب
مذهب السفور مع المحافظين على العوائد والتقاليد القديمة . وان
رأى شاباً جالساً في حان يتعاطى كأساً من الخمر وقف في مكانه
كالمصعوق ثم بصق على الأرض ومشى في سبيله وهو يرتل آيات
القرآن . له في بنك الكريدى ليونيه عشرون ألفاً من الأصفر

الرنان لا يتعاطى عنها فائدة متبعاً قوله تعالى (وأحلّ الله البيع وحرم الربا) .

يسكن محمد بك في قصر جميل على ضفاف النيل تحوطه حديقة غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها تغريد الطيور ممزوجة بألحان أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت الحب في آذان العاشق اليأس . وإذا ظهر الشفق خلف النخيل وارتدت السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل للناظر أن هذا الاحمرار هو دموع الليل يودع النهار ، وإذا بزغ القمر في القبة الزرقاء في ليلة من ليالي الصيف ودّ صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر . هذا هناء كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه فهو به قرير العين مثلوج الفؤاد تلوح عليه أريجية السرور كلما ذكر الله ، ويلمع في غرته نور البشر كلما صلى على نبيه

لم يرزق محمد بك عبد القادر الالفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث غضة العينين كأنها رجلة جميلة في حديقة الشعر لا يقف أمامها الا كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير . ولقد بلغت تلك الفتاة العشرين منذ أيام . وفكر أبوها كثيراً في أمر زواجها . وحادث زوجته في هذا الشأن مراراً وعدد لها أسماء كثيرة من الشبان الاغنياء

المتعلمين الذين يتطلعون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب
وجدا فيه ضالتهما المنشودة . وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت
نفوراً من ذلك الشاب . فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين
ابنتها فاستاء . لتلك النتيجة ولكنه اختار سبباً آخر لم ترفضه الفتاة
بل رفضت الزواج كلية . وعز على أبيها ذلك الرفض وقامت بنفسه
قيامه عصيان البنت لأوامر أبيها فهددها ما شاء وشاء . تعصبه
وتفانيه في حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو فاسدة . وأصر
على زواج ابنته بالفقير الأول وأبلغها ذلك الحكم الصارم بشدة لم
تعهد بها فيه من قبل ، قابلتها بالصمت والبكا

لم يرق في عين الام أن ترى ابنتها تبكي وتنوح وهالما أن
ينبو الفراش عن جسم تلك الفتاة الخروء وأن يطيش سهمها
ويخيب رجاؤها وتقف آملها على شفا اليأس . خلت الأم بابنتها
في صبيحة يوم من الايام بعد أن خرج والدها للقاء أحد اصحابه
وحادثتها في شأن زواجها بعد أن أقسمت لها أنها ستكون ساعدها
الأقوى وعضدها أمام تعسف أبيها وظلمه . فبكت الفتاة وأنت
وجئت أمام امها تسألها الرحمة والمعونة

علام تبكي هذه الفتاة؟ ولماذا تستعطف؟ وأي باعث يهيج

في قلبها تلك النار الكامنة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن
شاب جميل وغني ، والشاب الذي انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق
كريم العنصر باذخ الشرف منيع الساحة جميل الصورة كثير المال
فلماذا تأبى الزواج به ؟ اهل في الامر سرّاً آخر !

هذا ما كانت تقوله الام لنفسها وهي تمسح دموع ابنتها . ولما
هدأت الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو :

— انى أعدك يا ابنتى أن لا تتزوجى هذا الشاب بل أعدك أن
تتزوجى الشاب الذى تصبو له نفسك . فمن يكون هذا الشاب ؟
فنكست الفتاة رأسها وابتسمت ابتسامه باحت لامها بسرها
الدفين فقبلتها امها وقالت :

— ومن هو ؟

فلازمت الفتاة الصمت وأسندت رأسها على كتف أمها ولم
تשא الام أن ترهق الفتاة بالأسئلة فاكتفت بما عرفت

وعاد محمد بك الى منزله وخلت به زوجته ورجته أن يؤخر
هذا الزواج المشثوم فأصر على عناده . فلم تجد الأم بابا من أبواب
الرجاء والاستعطاف الا ولجته . ولكن البك عز عليه أن يقهر فى

هذا الميدان وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر
الى زوجته وقال :

— لعليها هوى فنى تود الاقتران به ؟

فقالت الام وهي غاضبة :

— واذا كان الامر كذلك فأى ضرر يلحق بنا ؟

— أى ضرر يلحق بنا ! انك تلعبين بالنار أيتها المرأة . انى

أحرم على هذه الفتاة ان ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها
وسوف تعيش راهبة مادمت حياً

وخرج من الغرفة وهو كالمجنون ونادى فتاته فأتته ملبية طائعة
فابتدراها بالشتم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته فى
وجهه . وغادر البك المنزل وهو هائم على وجهه

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيهما شئ جديد .
وخيم السكون على هذا المنزل فكان البك هادئاً ساكناً لا يلفظ
بكلمة تشير للموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج فى
قلبه . وكانت زوجته هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية
لآلام ابنتها . أما الفتاة فكانت تبكى آناً ليلها وأطراف نهارها

وتتوجع سرّاً دون أن تبوح لاحد بالآمالها . لقد كان لها بارق من
المنى كذب بركة وعارض من الآمال أخلف وذّقه فسلام على ماضى
هناؤها وسلام على رجائها وآمالها

وفى ذات ليلة تعشى البك كعادته وشرب فنجانين من القهوة
ثم دخن سيجارة وابتدأ فى صلاة العشاء ولم يفارق سجاداته الا بعد
ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً . ثم قام وتمشى فى المنزل قليلا ودخل
غرفة نومه لينام . وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفلح فخرج الى
الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى البك فى الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابتهاج وخضوع
فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه : (ربى لمن
خلقت هذا النعيم ؟) . ثم نظر للأشجار فوجدها تمايل يمنة ويسرة
وقد هب نسيم عليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال
مخاطباً ربه : (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) . ونظر للنهر فوجد أشعة
القمر الفضية تلاعب أمواج النيل ورأى قاربا يحمل قوماً يغنون
ويضحكون وسمع فى تلك الآونة نشيد طائر يغنى فى جوف الليل
البييم فقال مخاطباً ربه : (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) . ثم جالس على
كرسى ونظر لسكل شىء ، لهذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد
الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن

عظمة الخالق وقوته وشفقته وحنوه ، لهذه الجنة التي هي مهبط الحب
وخلوة اللذة والنعيم فقال مخاطباً ربه : (ربي لمن خلقت هذا النعيم؟) .
ثم تذكر أيام كان شاباً يخفق قلبه لرؤية الغيد فأغض عينيه ورتل
آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ثم فتح أجفانه وقال : (ما تلك
إلا جنة ...) ولم يدرك أي كلمة يتم بها جملة فوقه وهو حائر
الطرف وإذا به يرى شبحين يسيران نحوه فاخفى وراء شجرة
كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتابعة وقال
لنفسه : (من هو هذا الغريب الذي يجسر على التنزه في حديقتي قبل
منتصف الليل)

واقترب الشبحان منه فتفرس فيهما فإذا به يرى ابنته تسير
بجوار شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف
البك الشاب بعد أن تفرس في وجهه وقال لنفسه : (هذا هو الشاب
الفقير الذي كان يسكن بجوارنا أيام كنا نسكن بالحزواي) ووقف
الشبحان وتحادثا على مسمع منه ، فقال الفتى :

— أنا مرغم على تركك يا حبيبتى واني أقسم لك أني سأبقى
على عهد جبي الطاهر الشريف الى أن يضم عظامي القبر .
فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك



وقبلها الفتى في جبهتها وسار معها متخذاً وجهة السور ليعود
أدراجه الى منزله .

خرج البك من مخبأه وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر .
ثم نظر للسماء ولانهر وللأشجار ، لهذا الجمال الطبيعي ، لهذه الجنة
الديوية ، لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بعد أن فكّر قليلا فيما
رآه وفيما سمعه : (ربى انك خلقت هذا النعيم المحبين واعمرى
ماتلك الاجنة الحب) . ورتل آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد
علت شفقيه ابتسامه تهب عن هنائه وغبطته

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت في نهايته حفلة
قران الفتاة الغنية بالشاب الفقير . وما كانت تلك الحفلة الا رمز
انتصار الحب الطاهر على كل شىء ،
(اكتوبر سنة ١٩١٧)

كان طفلاً
فصار شاباً

كان طفلاً فصار شاباً

أحمد محبوب يبلغ من العمر عشرين عاماً . ألقى الألف أسود العينين مقرون الحاجبين وضاح الطامة جميلة الصورة طويل القوام . إذا رأته النساء نظرت إليه بطرف خفي ، وإذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحرى والقبلى ، وأمه من عائلة عريقة فى الحسب والنسب لا غبار عليها . رباه أبوه تربية مصرية بجملة فحشاً يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفئة ضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولو عاً أنساه كل لذة فى العالم . وكانت له مربية تبلغ من العمر الخامسة والأربعين ربه صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة ، وكان عمرها فى ذلك العهد خمساً وعشرين عاماً . وكانت قد طُلقَت من زوجها وهو رجل كان معاوناً فى إحدى زراعات الدومين . ومحبوب يجب مربيته ولا يكتفى لايخشائها . يهزأ منها إذا أغضبته ثم لا يلبث أن يسترضيها فتسنى أساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

لقد بلغ محبوب العشرين ولكنه لا يفسى أيام كاذت تضر به مربيته وهو طفل إذا هفا هفوة أو ارتكب اثماً .

أينسى يوم أن تساق شجرة النبق في الحديقة وكاد أن يسقط
على الأرض . لقد أمسكت به مريته والعصا في ينها تفرعه بها
ناهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم ان مكث في الفناء
يلعب ويمرح وكان الوقت ظهراً فنها السقا عم عبد الرزاق عن ذلك
فشتمه ورفسه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته
مريته على وجهه وهي تؤنبه على ما فعل . وهل ينسى يوم
ان التقط من الأرض سيجارة أليه وأراد أن يدخلها
فأته مريته من النافذة ونادت به فهم بالهرب وأبى الدخول
للمنزل الى أن حمله الخصى وأتى به اليها لينال جزاءه . انه لا ينسى
كل ذلك . وان للطفولة حوادث تبقى مرسومة في رؤوس الشبان
والرجال الى الابد

وكان القصر الذى يسكن فيه محبوب وعائلته فى حى من
الأحياء الوطنية ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت
صغيرة لأقوام من بيئة ليست بالغنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام
قصر محبوب رجل تاجر حسن السيرة له زوجة وبنت تبلغ الخامسة
عشرة وولد يبلغ العشرين يساعده فى ادارة حانوته .

وكانت تشتغل زوجته طول نهارها فى أعمالها المنزلية وتساعد
بنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جلست أمام

النافذة التي تطل على غرفة محبوب تنتظر إياه من المدرسة . فكان
إذا ما دخل غرفته أشارت إليه بالسلام ويبتعدان في المغازلة . ففي
ذات يوم دخلت عليه مربيته فوجدته يشير يميناً للفتاة فنظرت
إليه نظرة ريبية وامتعاض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون أن
تنبس بكلمة . ولم يعر محبوب ذلك الحادث اهتماماً وانقضى اليوم
على صفاء . ولكنه لاحظ بعد ذلك أن مربيته تكثر من الدخول
في غرفته ساعة إياه من المدرسة كأنها تود أن تمنعه عن محادثة
الفتاة . فسأه ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعمد إلى حيلة
ناجعة . فكان إذا عاد من المدرسة أحكم أقفال باب غرفته بالمفتاح
ليفعل ما يوحيه إليه هواه

واهتمت مربيته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحه لها
بعد أن أشار لفتاته أن تتواري . ودخلت المربية ووجدت نافذة
الفتاة خالية فابتسمت ابتسامة الهازيء وقالت له :

— لقد طار العصفور من القفص

— وماذا تقصد من ذلك ؟

— انك يا ولدي تسيء لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل

المرء عن أداء واجباته .

— اني حريص على أدائها فدعى اللوم جانباً

— يالك من غر أحق

— انى أكره أن يسبنى أحد

— ولسكنك ترتكب المعاصى على مرأى من الناس . ألا

تحشى أن أخبر أباك بما تفعل ؟

— أبى لم يخرج من غرفته بعد فهل لك أن تذهبي وتقصى عليه ذلك

— سأفعل

وخرجت وهي غاضبة . وخاف محبوب أن يخبر أباه بهواه .

فلما دنا وقت العشاء أبى أن يأكل مع أبيه فادعى المرض ونام وهو

جوعان .

ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مريته له فلا

يهتدى إلى شيء . انه لم يلاحظ شيئاً فى حركاتها ولا فى سكناتها

فعلام لا تتركه حراً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف

والحذر . وعلام تغار من هذه الفتاة التى لم تبلغ الخامسة عشرة وهى

امراة أربت على الخامسة والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير

*
*

خرج محبوب فى يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه

لعب معهم الميسر وخسر ما فى جيبه فرجع البيت وهو يعرض بنان

الندم . وسأل عن أبيه فقبل له انه خرج وعن والدته فقيل أنها

سنتناول طعام العشاء عند خاتمه . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبعد هنيهة رأى حبيبته فى النافذة تبسم له . ولبث يحادثها ويشير لها الى أن رأى خيال مربيته فى الغرفة الأخرى فكفّ عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبتعد فابتعدت وجلس وحيداً ينتظر الرقيب . فدخلت مربيته بعد عدة دقائق وقد استشاطت غضباً وقالت بصوت مهدهج :

— هذه هى المرة الاخيرة فان عدتَ لفعلمتك أخبرت والدك بكل ما فعلته

— وأى باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنباً يستحق اللوم؟

— أى باعث يستفز غضبى ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى

أى هوة أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك

— انى أكره هذا الحديث

— أتأبى استماع نصائحي؟

— انها لا تصلح الآن بعد أن كالتنى الرجولة

— يالك من شاب أبله

سمع محبوب هذه الكلمة فقام غاضباً وهم أن يغادر الغرفة

فأمسكت به مربيته ولقّت ذراعها على خصره ومنعته من الخروج .



فهمّ بالافلات منها فلمس جسمه جسمها فلم يجد بأساً في البقاء . فظف
ساعده أيضاً على خصرها متظاهراً بالهجوم ليدافع عن نفسه . ووقع
نظره على وجهها فاذا به يرى صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل
في ذلك الوجه الذي عرفه من يوم أن كان (يمجو) على الوسائد .
فوقف هنيهة ينظر اليها وتنظر اليه ، وكانت لم تزل بضة البشرة عليها
مسحة من الجمال بالرغم من الخمسة والاربعين عاما التي قضتها . وكان
محبوب شابا يهيج شهوته الخادرة أى باعث صغير . فأطال النظر اليها
وأطالت النظر اليه وسمع أنفاسها تتردد في صدرها وهي تنظر لخصلة
شعره الاسود المسدلة على جبينه . ثم قبلته في فمه فقبلها في فمها وتعانقا
وتلاصق جسمها بجسمه . وأحس بنهديها الذابلين تدلك بهما
صدره

ثم غابا عن الوجود

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مرييته كأُم حنون والآن
صار شابا جميلا فأحبته مرييته كعشيقة ضرم الحب أنفاسها .
فياللعجب مما تراه العيون في ظلام هذه الحياة
(سنة ١٩١٧)

فواطر قصصية

ريان يا فجل

ريان يافجل

قضيتُ صباحُ أمس ساعة في قهوة بميدان الاوبرا قرأت فيها
الجرائد وشربت فنجاناً من القهوة ثم هممت واقفاً وعزمت على
العودة لدارى للغذاء فقصدت ميدان العتبة الخضراء لاركب الترام.
وبينما كنت ماراً أمام دار البريد استوقفنى شاب أسمر الوجه وضاح
الطاعة قوى العضلات رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما فى
قلبه من عزم ونشاط. وكان لابساً معطفاً جديداً يخفى بدلة
ماشككت فى أنها من عمل « دليا » أو « ريبو ».

استوقفنى الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددتُ السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابى
وحيرتى ، وقلت لنفسى : « ماذا يريد الشاب منى وليس لى به معرفة
ولم أصادفه فى طريقي قبل اليوم . لعله صديق أحد أصدقائى يود
مخاطبتي فى أمر يخص ذلك الصديق . أو لعل له قصد آخر . ومشى
الشاب بجاني وهو يبتسم ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع فى سيره .

— كلا ياسيدى أنا عائد لدارى .

— أيسمح لي البك بخمس دقائق .

— بلا شك .

— البك يعرف ما يلقاه الأديب من الضيم في مصر ، والبك يعرف كساد سوق الأدب في مصر ، والبك يهمله أمر الأدباء في مصر ، والبك يساعد الادباء في مصر .

فأجبتة بابتسامة صفراء قائلاً :

— والبك ليس في جيبه إلا ثمن تذكرة الترام .

فضحك الشاب وقال :

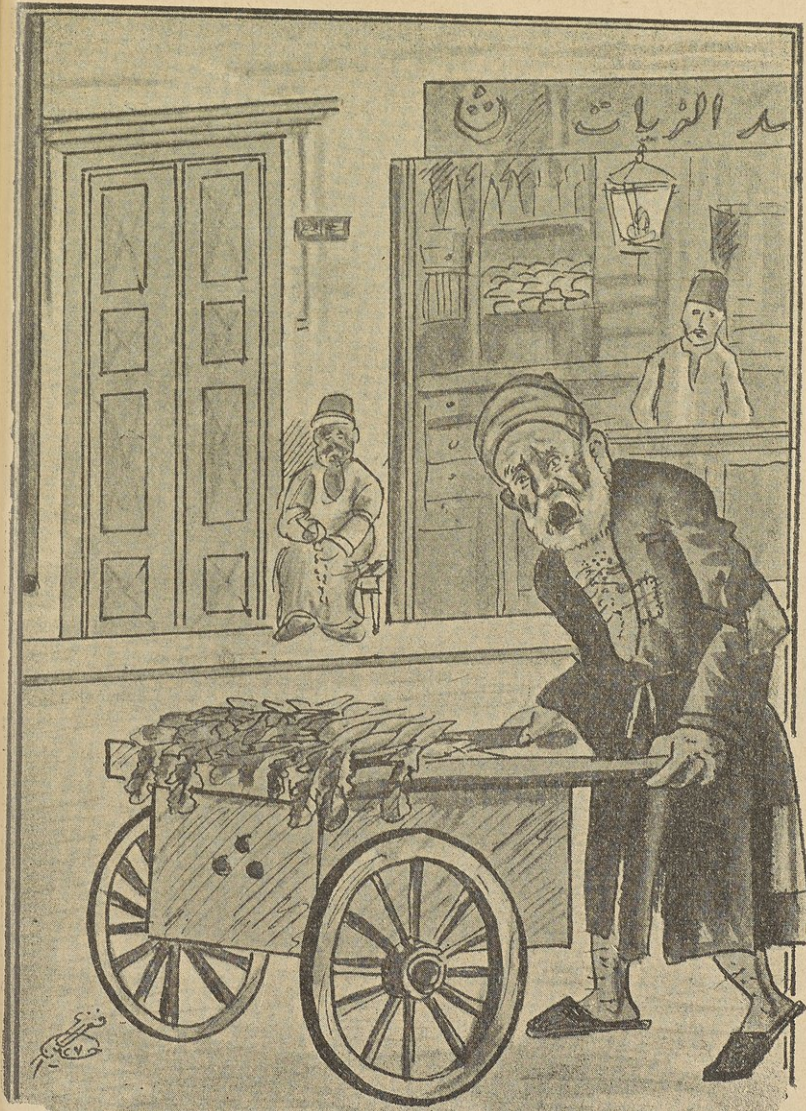
— أنا أطلب مبلغاً لا يزيد عن شلن ولا ينقص عن نصف

فرنك ، والبيك كريم .

فأخرجت من جيبى قرشين أعطيتهما له وسرت في طريقي

لأركب الترام .

نزلتُ من الترام عند باب الحامية واتخذتُ جهة دارى وأنا أسير الهوينا . وعند وصولى للمنزل وجدتُ شيخاً يبلغ الستين ضخماً الجثة محنى الظهر له لحية بيضاء تتدلى على صدره ، يدفع بيده عربة صغيرة عليها فجل يبيعه للناس . يسير هنيئاً ويستريح أخرى



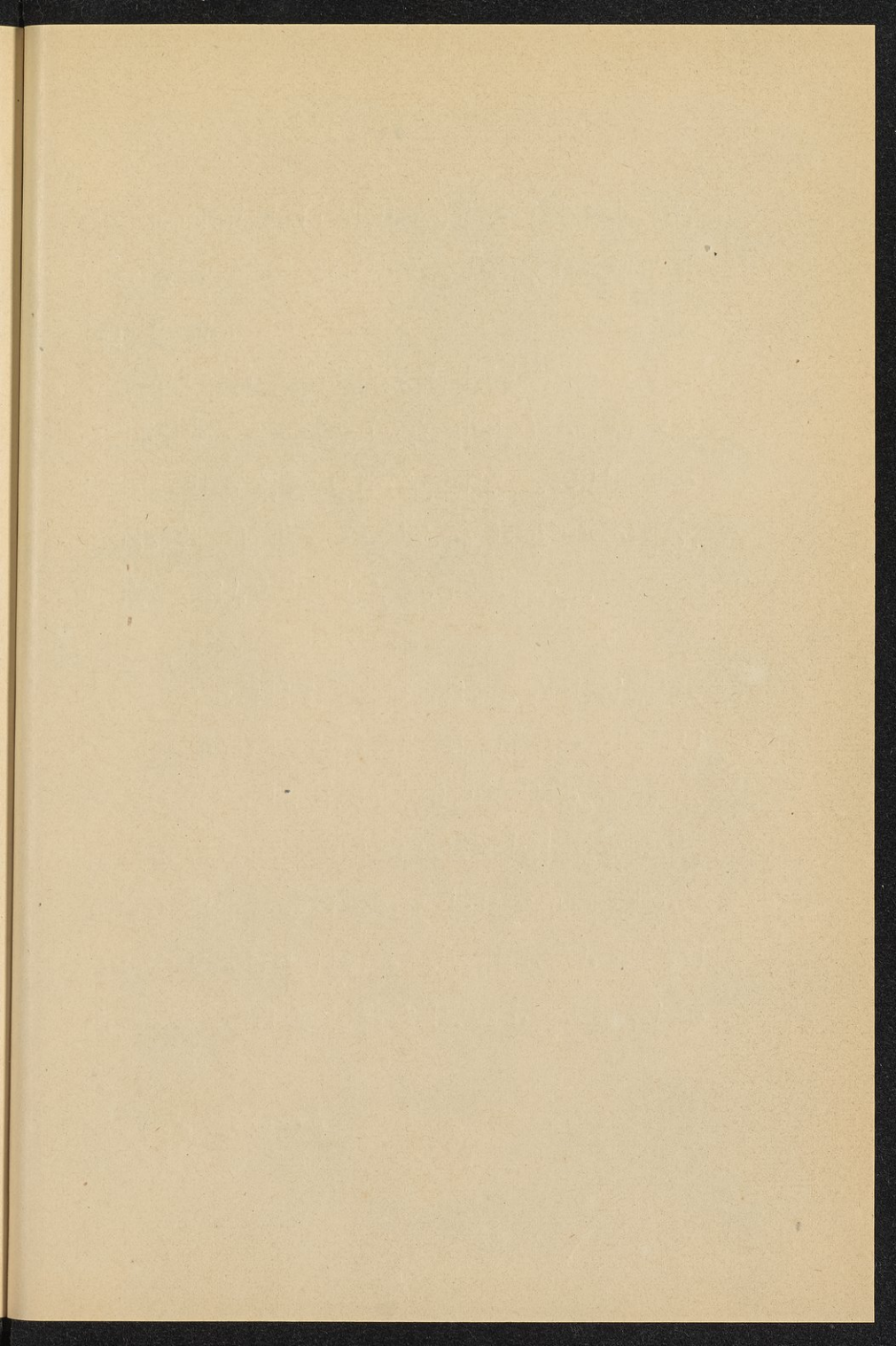
ريان يافجل

ويصرخ من أعماق قلبه (ريان يافجل) والناس تسير بجواره دون
أن تهز قلوبهم الشفقة فيجودون له بثمان كأس من الجعة اعتادوا
شربه كل مساء .

سار الرجل في طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع . وحانت
منى التفاتة له فوجدته يصرخ (ريان يافجل) . ثم وقف هنيهة
ليستريح وإذا به يهوى على الأرض . فأسرعت مع الخدم اليه
فوجدناه ملقى على الثرى وهو يلهث من التعب وقد عجز عن
الكلام . فحملناه الى الدار ليستريح ويأكل ويشرب .

سبحان ربى ! الفرق كبير بين الاثنين . الأول شاب اتخذ
الكسل حرفة والأدب ذريعة . والكسل سبيل التدهور الى الدنيا
التي تموت فيها العواطف أو بالحرى الى الموت الأدبى . والثانى
شيخ أقعد الكبر ونال منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى
فى المعركة الكبيرة ، معركة الحياة ، وعزَّ عليه أن يمد يده للسؤال فعمد
للعمل مفضلاً الموت على الجبن . والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا
التي يسمو فيها الانسان لذروة الشرف أو يموت فيها ميتة
الابطال

(مايو سنة ١٩١٨)



سارق و سارق

سارق وسارق

الشيخ أحمد ، يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار
الهُوينا لضعفه وأحلال قواه . وإذا نظر اليك انبعث من عينيه بريق
يهز أوتار قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان . تراه في صبيحة كل يوم
يحمل على ظهره المقوس ألواح الثلج يسير بها في شوارع الرمل
ليودعها في البيوت والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قادته
غير البلوى فهو من الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول .
ولقد أطلق عليه أطفال الرمل اسم « الشيخ احمد » لسداجة طبعه
وضعف قوته . فهو في نظرهم أعبوبة يقتلون به الوقت ، والوقت في نظر
الاطفال لا قيمة له . بيد أن اسم الشيخ احمد التصق بشخصية ذلك
العامل المسكين فردده الكبير والصغير والغني والفقير والشريف
والخقير . وأصبح حامل الثلج لا يعرف في حي الرمل بغير ذلك
الاسم .

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين في كل صيف عند مجئنا
للاسكندرية . وكأننا نرى برؤيته جزءاً من رمال الرمل وغياضها
وبحرها الهائج . غير أننا في هذا العام حرماناً رؤيته وجهه البائس شهراً
من الزمن شعرنا باختفاء شيء اعتدنا رؤيته كل صيف . ثم ظهر

الشيخ احمد في ربوع الرمل يحمل على ظهره ألواح الثلج . ورأيناه في صبيحة يوم من الأيام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يبتسم كأنه يقريء أرض الدار وجدرائها وكل شيء فيها سلامه ويشها أشواقه . ولو كان للارض والجدران لسان يتكلم لسمعنا حديث الشوق وتحيات اللقاء بعد الفراق . ناديته فلبى ندائي ووافاني يتعثر في مشيته فسألته عن سر غيبته فقال :

— كنت رهين السجن ياسيدي .

— الشيخ احمد يزوج في أعماق السجن !

— إني والله بريء .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشتري الملابس الرثة ثم يبيعها في الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه ياشيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو الاحاثوت

متمثل

— بورك فيك ياسيدي فقد عرفت الرجل . لقد سألته يوماً

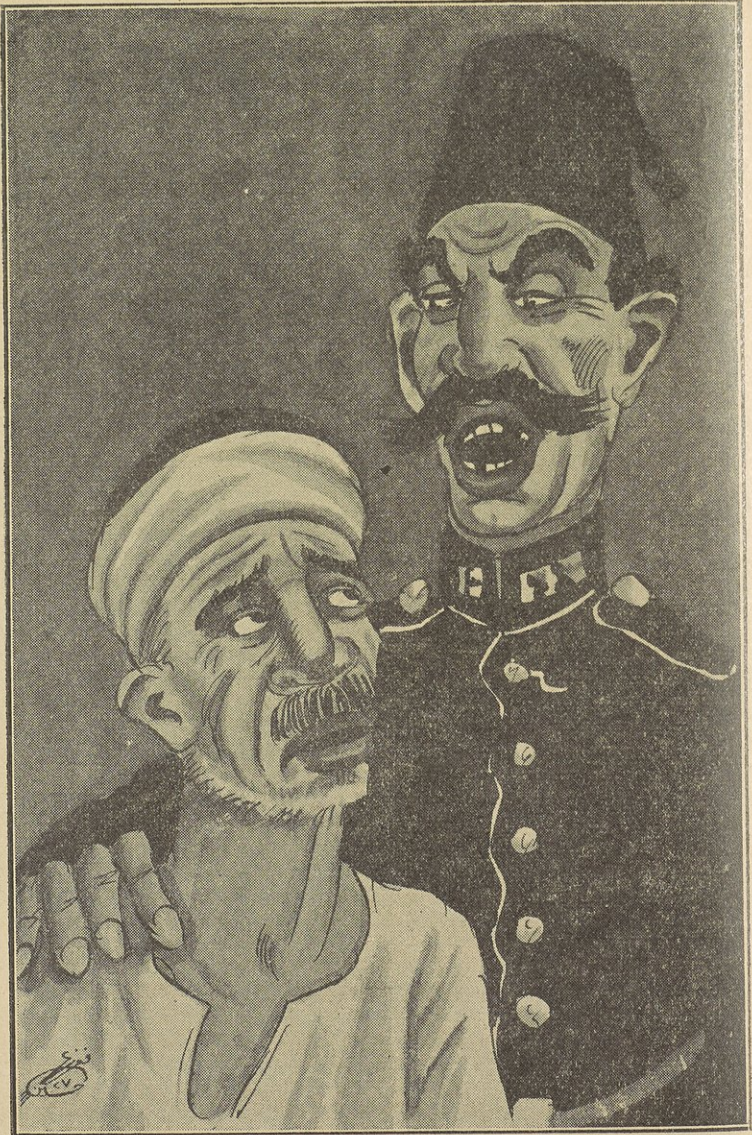
شراء ثوب كان في يده وسأومته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب بعشرة قروش وغادرني وسار في طريقه . ولكنه التفت الى بعد حين وناداني قائلاً هات الثمن وخذ الثوب . فأعطيته ما كان في جيبى

٧ مآراه العيون

وكنت لأملك سوى عشرة قروش. فوضع الدراهم في جيبه وسار في طريقه. فجريت وراءه لآخذ الثوب ولكنه نهزني ثم ضربني وربح الصفقة مني. فالتفتُ يئساً ويسرة لهلي أجد في الطريق رجلاً ذا شهامة ومروءة يرد إلى مالي فلم تقع عيني على غير آكام الرمل. فعدت أدراجي صفر اليدين لأملك أبيض ولا أسود. ولكنني أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبان الذي وجد ضعفي وبؤسى وسيلة يبرر بها جريمته. وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان قد وضع حمله أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق فأخذت من بين بضاعته الثوب الذي دفعتم ثمنه. وما دفعني لذلك غير الانتقام. وإذا بالرجل خرج من البيت وجري ورأى وأمسك بي ثم أخذ الثوب مني. وما زلتُ بين يديه يصفعني تارة ويهزني طوراً إلى أن سلموني ليد البوليس وحكم على بشهرين قضيتهما بين جدران السجن. ثم ابتمم الشيخ أحمد وقال :

— ولكنني لا أكذبك القول. لقد كنت على أحسن حال في سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعاً .

وغادرنى الشيخ أحمد وهو يتسم حاملاً ألواح الثلج كعادته. فقلت في نفسي حرام أن يعاقب الأبرياء أما المجرمون



﴿ الشيخ احمد يقبض عليه البوليس ﴾

فما زالوا يعيشون في الارض فساداً. ثم ألقى نظرة أخرى على
الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظري فرأيت فيه صورة البائس
الذي يخرج المجتمع الانساني من حيز الأبرياء الى حيز المجرمين .
وكيف لا يكون الامر كذلك والشيخ أحمد لم يشك في سجنه ضيقاً
ولا جوعاً

(١٣ أكتوبر ١٩١٨)



بسم الله الرحمن الرحيم

للفقراء مجاناً

للفقراء مجاناً

بينما كان الظلام ملقياً رداءه الأسود على المدينة والسكون ضارباً خياله والناس رقاداً في منازلهم كان الدكتور (. . . بك) جالساً أمام مكتبه يخط بيده الكريمة ما يمليه عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب الدكتور فى تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي مصرى يخطب فيها الدكتور خطبة شائعة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوئ أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم فى يده كأنه رمز الجِد والعمل والحنو والشققة . وما لبث الدكتور فى مكانه قليلاً حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على رأسه وقال : (حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد) . وأمسك بيده القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أيها السادة هو النبع الفياض الذي يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التي يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً معافى ، بل الطب فى نظري أيها السادة كيبوت الله تجمع بين الفقير والغنى والبأس والسعيد فى مستوى واحد ، بل ربما كان الطب أوسع صدرأ للفقراء وأحنى قلباً على الضعفاء البائسين ، الطب . .) ثم تمهل الطبيب قليلاً وفكر كثيراً

وهو جالس أمام مكتبه يمنع عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث القوي ، باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بنى جنسه .

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم في أحشائه جماعة ممن يبديون على الخسف ويشربون على غير ثميلة ، قوم فقراء أضر بهم المرض وشفهم الحزن . وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلث « للفقراء مجاناً » . ما أجل هاتين الكلمتين (للفقراء مجاناً) . إذا مر الفقير وقرأهما دخل دار الدكتور وهو يقول : (سأدخل مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور ثمن عشاء الاطفال في البيت) . أجل اذا قرأها الفقير تهمل وجهه وبرقت أسرته وابتسم ابتسامة تعبر عما في قلبه من الشكر والرضى . ومارضى الفقير الاحسنة من حسنات الله على بنى الانسان .

قلنا إن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فراش ابنته الحامل التي كانت تصرخ من الألم وهي ترتعد من البرد وقد اصطكت أسنانها وتقلصت شفتها وسالت دموعها على خدها تكتب سطور البؤس والألم . ابنة في الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد أن تركها حاملاً ، وهي الليلة تلد وقد تعسرت

ولادتها فأصبحت على قيد شبرين من الموت . جلس الرجل الفقير
القرفصاء واضعاً رأسه بين يديه وهو كاسف البال غائر العينين
لا يعرف ماذا يفعل ولا يهتدى لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا
بزوجته العمياء التي كانت تبكي وتضرب رأسها في الحائط تقول له :
— أنسيت أن الدكتور . . بك يعالج القفراء مجاناً . اذهب إليه
واطرق بابه فربما رق قلبه وأنقذ ابنتنا من مخالب الموت .

فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفة واتخذ وجهة الباب وخرج
للشارع ليأتي بالطبيب . ومشى الرجل في الشارع وهو يترنح كالشارب
المثل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثاً فخرج خادم أسود
وهو يهينم وبزجر وقال له :
— ماذا تريد ؟

— ابنتي تموت . أريد أن أحادث الدكتور .

— الدكتور مشغول جداً وقد نبه على أن لا أجيب سائلاً .

— ولكن ابنتي تموت .

فأقبل الخادم الباب . ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق
القلب . ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه : (أجل
سأفعل ذلك وماضرنى لو فعلته) وإذا به يرى رجلاً يسير الهويناء
في الطريق فمد له يده وقال : (حسنة ياسيدي) فاتهره الرجل وسار

في طريقه . ومر رجل ثان وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الخيبة
في كل مرة . وإذا بالشرطى يقول له :

— ما هذا الفعل يا رجل ؟ متسول في الطريق . هيا الى
القسم .

ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطى فقال له :
— لم أعود التسول ياسيدى ولكن ابنتى تموت فأردت أن
أجمع أجرة الطبيب فلم أجد غير هذه الوسيلة .
ولكن الشرطى قاده الى القسم وهناك قضى ليلته .

وفي الصباح عاد الفقير الى منزله بعد أن أطلق سراحه
وكانت الساعة تدق العاشرة وإذا به يسمع صراخاً وولولة فهول
لداره فوجد زوجته تبكى وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب
عليها وقد فقد الرشد .

وفي هذه الساعة ، الساعة العاشرة كان الطبيب « الدكتور...
بك » واقفاً يخاطب في الجمع ويصيح بملء فيه (الطب أيها السادة
هو النبع الفيض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب
هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها
صحيحاً معافى ، بل الطب فى نظرى أيها السادة كيوت الله تجمع

بين الفقير والغنى والبأس والسعيد في مستوى واحد. بل ربما كان
الطب أوسع صدرًا للفقراء وأخفى قلبًا على الضعفاء والبائسين ،
والطب ...)

(٤ أبريل سنة ١٩١٨)

درس فی کتاب

درس في كتاب

يطلق سكان باب الخلق والحزاي والسكة الجديدة على حارة درب سعادة اسم (شارع) ولا أدري لماذا يفعلون ذلك وحارة درب سعادة ضيقة تكاد تلتطم العربات بجدرانها إذا مرت فيها وهي مملأى بالقاذورات والأوحال صيفاً وشتاء . وقد عززت الحكومة رأى السكان فلم ترض عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل (شارع درب سعادة) وإن كانت ضنت عليهم بمصاييح الانارة . وفي هذه الحارة ، أستغفر الله بل في هذا الشارع ، جامع يقصده عباد الله للصلاة . ويجوار هذا الجامع كتاب صغير يُطلق عليه كتاب (سينو اغا) . كنت أسكن هذه الناحية وأنا صغير . بل في هذه الناحية ولدت وفيها ربيت . ولم أتركها إلا وأنا يافع بعد أن بعنا دارنا الكبيرة التي لم يبق منها الا دمن تبعث الذكرى في القلوب ، ذكرى الطفولة العذبة الجميلة . أذكر انى وددت وأنا صغير أن أزور الكتاب لأقارن بينه وبين المدرسة التي كنت أذهب اليها كل يوم . فدخلت مع خادمي وصعدت للطابق الأعلى ورأيت الأطفال جلوساً كلاً أمام قطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية . وكان (الفقى) غائباً ذلك اليوم أما (العريف) فكان واقفاً

في وسط الغرفة ويده عصا (جريدة) تنظر اليها الأطفال نظرات
ينبعث من بريقها الخوف والوجل . رأى العريف وحياني أجمل
تحية وأجلسني على كرسيه وصرخ في الأطفال صرخة أراد بها
إظهار مقامه بينهم ولكني لا أنكر أني ارتعدت عند سماعها كما
يرتعد العصفور أمام الباشق . ثم التفت يميناً وشمالاً فرأيت طفلاً
ينسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفي في يده شيئاً . وإذا بالعريف
يصيح :

— الى أين ؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام ؟ تعال هنا
فأنى الطفل وهو يتعثر في مشيته . وصاح العريف مرة ثانية :
— على (بالفلقة) .

فأتاه بها أكبر الأطفال سناً . وشدوا وثاق الطفل . وأقسم
العريف بأغلظ الأيمان أنه سيضرب الطفل ضرباً مبرحاً لأنه
خالف النظام والأوامر الجديدة . وهم بضربه وهو يقول :
— أقسم بالله والنبي والرسل والصحابة والأولياء والأتقياء ،
الأحياء منهم والأموات إنك لا تفلت من يدي . سوف ترى .
سأحل بك أشد عقاب رآته العيون وسمعت عنه الآذان من عهد
آدم ونوح . ما الذى تخفيه في يدك ؟ تكلم . لماذا غادرت مكانك
خفية . ما الذى بيدك ؟



فصاح الطفل وقد رأى العريف يهيم بأن يهوى بعصاه على
جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبي ياسيدنا حلاوة .

فابتسم العريف وقال :

— صفحت عنك لانك قلت الحقيقة .

وأمر بجل وثاقه . وأخذته على ناحية وهمس في أذنه وهو

يتلظظ وقد سال اللعاب من فيه :

— ما الذى معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

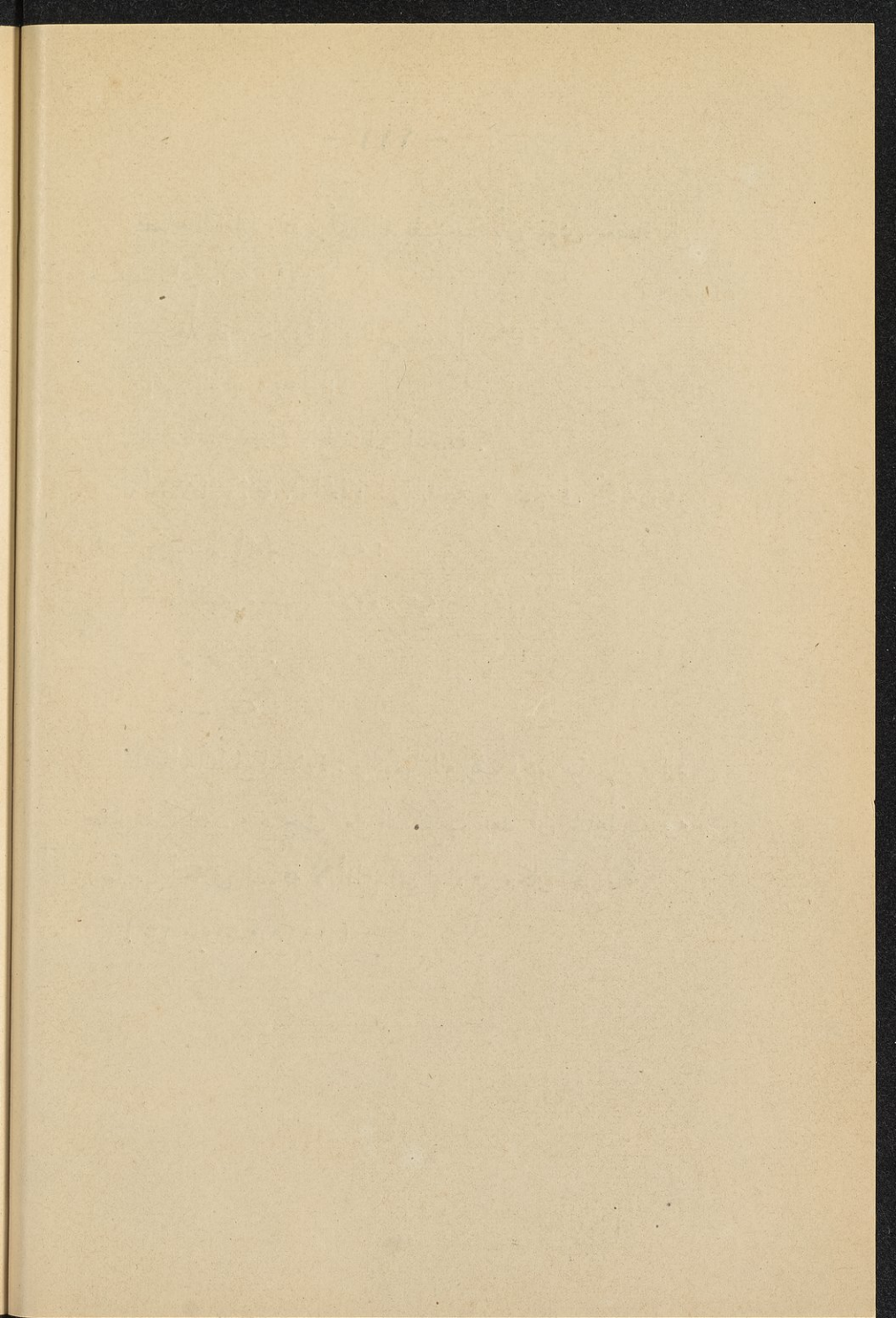
— هات حته

فأعطاه الطفل الحلاوة . والتمها العريف وهو يبتسم . وعاد

الطفل لمكانه . وخرجتُ من الكتاب بعد أن شاهدت فيه

درساً من أخلاق السوق لا أظن أنى أراه فى مكان آخر

(٢٣ مايو سنة ١٩١٨)



عرس وماتم

عرس وماتم

شارع (ال...) شارع قديم جداً أنشئ في عهد أمير مصر سعيد باشا وبقي على حاله الأول الى يومنا هذا . ولعل السر في ذلك وجوده في حي قديم بعيد عن الأحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة يجمع بين القصور الكبيرة تحوطها الأسوار العالية والبيوت الصغيرة الخفية التي لا تؤوى تحت سقفها الا المساكين . في هذا الشارع قصر كبير لأحد بشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة . ولهذا الباشا أربعة من الأولاد الذكور واثنان من الاناث يعيشون عيشة هادئة مرضية وينعمون بلذات الحياة ومسراتها .

أراد الباشا أن يزوج ابنه الاكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً ومالا . وأقام الأفراس في قصره أربعين ليلة متوالية حتى ملئت النفوس سماع النغمات ورؤية التعاليق والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً !!! تلك لعمرى مسألة عريضة طويلة حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شئ . كانت لله ضجة هائلة في ذلك الحى بل كان حديث الناس في كل مكان ..

وفي ذلك الشارع أيضاً بيت حقير لحوذى من أصحاب العربات «الكارو» له ولد مريض أربى على الثامنة عشرة لازم الفراش

أربعين ليلة وافقت ليالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الحوذى يبكي . كان الباشا يعد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الحوذى يبيع أثاث بيته يشتري الدواء لابنه المسكين . كانت النغمات تطن فى آذان الباشا فينشرح لها صدره وتنبسط نفسه وكانت أنفاس الابن تقع فى قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه . وفى صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر ، وتقص من أهل البيت الحقيق شخص هو ابن الحوذى البائس .

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لذ وطاب ، وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبلها دموع أبيه المسكين .

ذهب الحوذى لقصر الباشا باكى العين كاسف البال خاوي الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه فى سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده . إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أبية .

(٩ يونيو سنة ١٩١٨)

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Second line of handwritten text.

Third line of handwritten text.

Fourth line of handwritten text.

Fifth line of handwritten text.

Sixth line of handwritten text.

Seventh line of handwritten text.

Eighth line of handwritten text.

Ninth line of handwritten text.

Tenth line of handwritten text.

Eleventh line of handwritten text.

Twelfth line of handwritten text.

Thirteenth line of handwritten text.

Fourteenth line of handwritten text.

Fifteenth line of handwritten text.

Sixteenth line of handwritten text.

Seventeenth line of handwritten text.

رمضان في قهوة ماتاتيا

رمضان في قهوة ماتاتيا

خاف المحكمة المختلطة وأمام بنك الكريدى وفي كتف دكان
مدكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديمقراطي متهلة الوجه
باسمة الفم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضع والمتكبر
والوديع .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وهي تنظر لحديقة الازبكية نظرة
الهازيء تقول لها وهي تبسم : « أنت شاسعة الارحاء كثيرة
الاشجار طويلة الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت
فأنا أيضا غير نظيفة ولكنى أضمت تحت لوائى عدداً من الناس لم يظأ
أرضك بعد ربه ولا خمسة فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاماً » .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل
اسرائيلي أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول المدمس
يحف بها البصل والخيار والقوطة الحمراء والفجل والبكرات .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها الشاب ذو الوجه الجميل
والشعور المسدلة والقدر النحيف واللباس النظيف ينتظر مرور الناس
ليسرق من جيوبهم باسم (حرفة) الأدب والشعر أو باسم
(اللاحرفة) الدراهم التي أعدوها للفقراء والمساكين . بل ما أجمل

قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها أيضاً الصحفي صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التي تصدر لسب الناس وانتقادهم بلا ذنب ولا جريرة . بل ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة ماتاتيا ، نغمات (أحجار الطاولة) متمزجة بأصوات بائعي أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا إذا جلستَ فيها وأتاك أحد السامسة يعرض عليك شراء منزل أو بيع قطعة من الارض .. الخ . بل ما أجملها أيضاً وقد جلس فيها كتّاب الحمامين يناقشون أصحاب الدعاوى ، وصغار الممثلين يتحدثون في شتم إخوانهم ورؤسائهم . والاجمل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيا وهي تنظر بعين الغطرسة والعجرفة للخيم الصغيرة والكراسي المهشمة التي أعدها كاتبو العرضحلات لأنفسهم ولزبائنهم على رصيف المحكمة المختلطة .

كل هذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحياة تسترعى نظر الكاتب الذي يكره الجلوس في سولت وجروبي والكونتيننتال ، والذي يجب أن يرى بعينه من غرائب الحياة مايجرى في أمثال قهوة ماتاتيا .

كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائي كل يوم ولا يعابها ولكنه إذا مر على القهوة في شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره . أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست من المناظر

الاولى ولكنها أكثر منها غرابة .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقفطان ناعس الجفون جهم الحيا ممسكا بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ، هذا هو منظر الشيخ الصائم الذى ضاق فى عينه منزله فأتى ليقتضى وقته فى القهوة بلا أجر ولا ثمن .

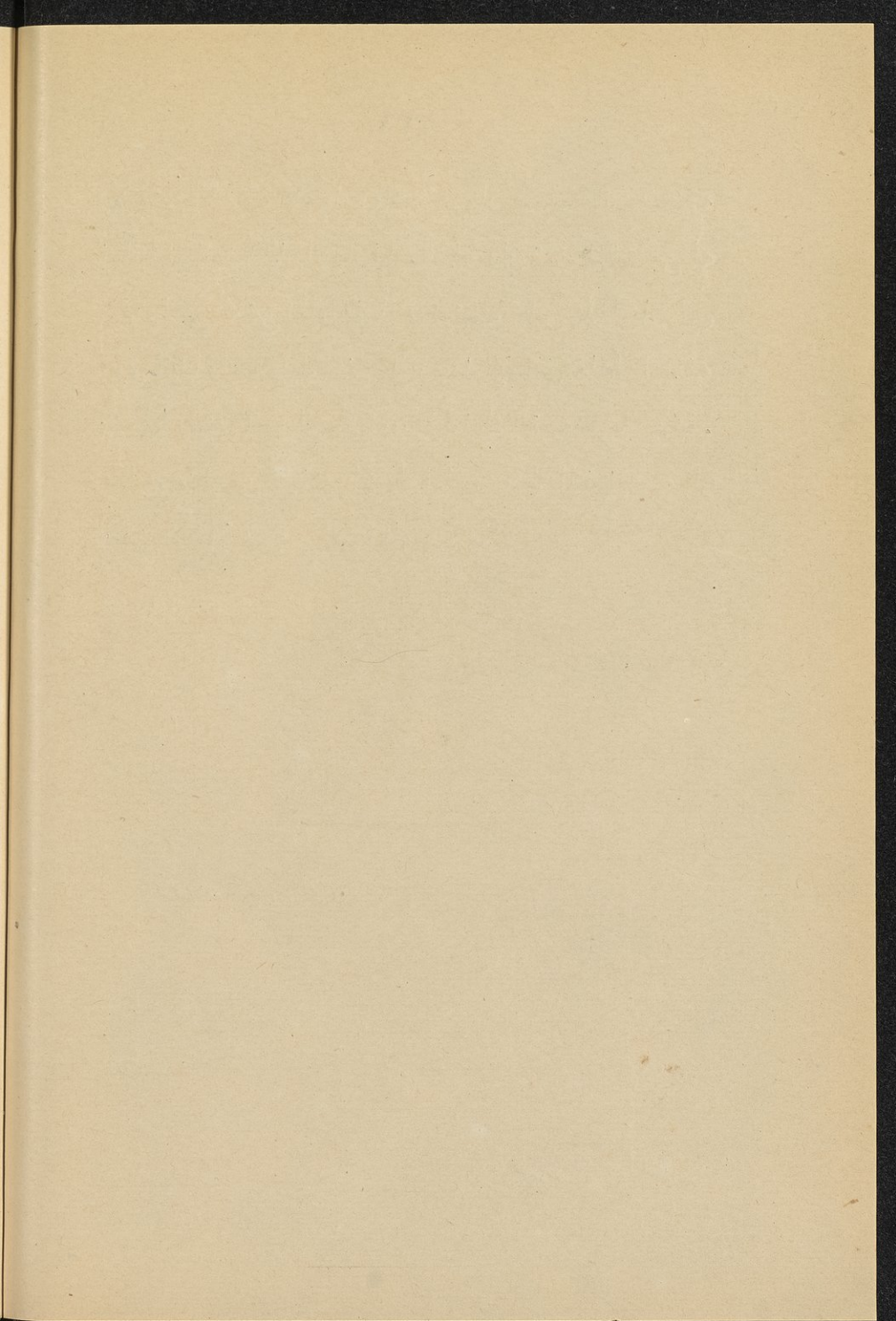
والمنظر الثانى منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً ، يظهر أمام الناس بمظهر الصائم حتى إذا جاع دخل القهوة سرأوانزوى فى ركن من أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل الصائم جهاراً والفاطر سرأ .

والمنظر الثالث منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذى أتى القهوة ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوب ماء وكل هذا بقرش تعريفة فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس وشرب القهوة والماء أمامهم وهو يقول لنفسه : (الله يعلم أى مفطر فلتعلم أيضاً الناس لآنى لم أفعل ما يغضب الله) .

والمنظر الرابع منظر شاب مصرى لا يتكلم إلا الأفرنسية أو الأنكليزية مملوءة بالاغلاط المضحكة ، ولا يلبس إلا اللباس الجميل

ولا يمشى إلا مشية الاعجاب والتبخر. وإن ضحك كانت ضحكته
نسائية تستلفت أنظار الرجال قبل النساء. وإن تكلم سالت من فيه
الرقعة وادعى أنه ممن تتفانى النساء في محبتهم. يجلس هذا الشاب على
قهوة ماناتيا واضعاً رجله اليمنى على رجله اليسرى خالفاً طربوشه
وممسكاً يمينه كأس الوسكى أو الكونياك يحتسيه جرعة جرعة .
هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا الناس ، منظر المتفرنج ، منظر
العضو الأشلّ في جسم الأمة المصرية



ولكن المهرأة لم تخلق
لهذا الهناء في مصر

ولكن المرأة لهم تخلق لهذا الهناء

في مصر

ما أجمل الصيف في رمل الاسكندرية وما أجمل رمل
الاسكندرية في عين المصطاف . الارض صفراء والحدائق خضراء
ومياه البحر زرقاء والأمواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى
الصيف ، والقمر في منتصف كل شهر أشعته زاهرة تنعكس على وجه
الماء فتبدو للعين فضية اللون . والاستحمام في ماء البحر كل صباح
يعيد للنفس نشاطها وللقاب طمأنينته وراحته . كل هذا جميل وأجمل
منه أن تخرج من منزلك عصر كل يوم للتنزه فتصادف في طريقك
صديقاً تأنس لحديثه فتسيران الهويناء معاً تنظران لجمال الطبيعة
وتناجيان قدرة الخالق وعظمته تبدو في صفائر الامور وكباثرها
فوق هذه الرمال .

أخرج في العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلي قبيل المغرب .
ففي ذات يوم خرجت للتروض كهادتي وبينما أنا سائر في طريقي
لمحت رجلا يقرب مني من بعيد . وشعرت برجل آخر يسير خلفي . ثم
اقترب الرجلان وسلما على بعض وهما يبتسمان ووقفنا هنيهة يتحادثان
ثم سارا معاً أمامي وهما يعتبان علي بعضهما اطول غيبة الواحد عن

الثانى . فما شككت فى أنهما صديقان التقيا فى هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلى وتركتهما معاً ولم أعلم عن أمرهما شيئاً الا عصر اليوم التالى .

خرجتُ فى اليوم التالى للتنزه كالعادة وسرت فى الطريق التى وطئتها قدماى بالأمس فاذا بى أرى رجل الأمس يقترب منى وكانت تسير بجواره عادة ماشككت فى أنها زوجته . وشعرت خلفى أيضاً بالرجل الثانى يسير مع سيدة ماشككت أيضاً فى أنها زوجته . ولما تلاقى الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفاً من بعيد ينظران للأرض دون أن يجسر أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحادث الأخرى وهى لامةة الصفحة باسمة الفم ثم انفصلتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب زوجها متخذة وجهتها لمنزلها .

بالعجب . بالأمس وقف الرجلان يعقب الواحد منهما على الآخر اطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان ، واليوم وقف كل واحد منهما بعيداً كالصم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الأول والثانى ودٌّ وصدقة . كل هذا لانفعله احتراماً لنسائنا بل احتراماً لتلك الخرقه التى يضعنها على وجوههن ، والتى

نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم الصديق صديقه اذا قابله مع زوجته
ظنا منه أن في ذلك ما يحط من قدر الزوجية إذ للرجال عالماً
منفصلاً عن النساء . ألم يكن أحسن من ذلك وأولى أن يقف
الأربعة ليتحدوا معاً ويتنزهوا معاً وعلى الأخص اذا كان الرجل
صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أي حائل يحول بينهم والى
متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن في غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

لبن بقهوة
ولبن بالتراب

لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحوت من نومي ولبست ملابسي ،
أتنتى الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . ألقىت نظري على الطعام
فوجدته مختلف الألوان من جبن وزيتون وبيض ولبن وقهوة .
وكانت لي شبيهة للآكل فأكلت من الجبن والزيتون والبيض حتى
شبعتم ثم نظرت اللبن والقهوة وقلت لنفسى : (إني أشرب اللبن مع
القهوة صباح كل يوم ولقد شبعتم من غيره اليوم وليس في مقدورى
أن أضيف الى ما فى معدتى من اللبن شيئاً) . وقت لأرتدى ملابسي
وإذا بي أرى كلبى يصبص لى بذنبه فأفرغت ما كان فى فنجانى
من اللبن فى وعاء الكلب وتركته والوعاء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى .
ثم أردت الرجوع فانتظرت فى المحطة قليلاً مترقباً وصول القطر
الذى يقلىنى حتى المحطة التى أسكن فيها . وإذا بي أرى رجلاً يبلغ
الخمسين يسير وراءه طفل ماشككت فى أنه ولده ، يحمل معه قدراً
مملوءاً بسائل لا أعرفه . وحاولا ركوب قطار كان قد غادر المحطة
وابتعد عنها قليلاً . وإذا بالولد يهوى على الأرض والأب يهوى
فوقه ولحسن حظهما لم يصابا بسوء . ولكن القدر انكسر وسال

ما فيه على الأرض وكان لبناً ناصع البياض. فنظر اليه الرجل نظرة
ملؤها الأسف وكادت الدموع تسيل من عينيه. ثم سار في طريقه
مع ابنه وكأنه تفاعل شراً مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث في طريقى قليلاً حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع
الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لابسين من الملابس
ما لا يحجب من جسديهما الا القليل ، عاربي الرأس حافي الاقدام
تتراكم على جبهتيهما وملابسهما القاذورات والأوساخ ، تسابقا
لمكان الحادثة ولما وصلا اليه ركعا على الأرض ولبثا يلحسان
اللبن وكان لبناً بالتراب لا بالقهوة .

يا لله أترفض نفسى فى هذا الصباح فنجان لبن بقهوة وترضى
نفسا هذين الفقيرين لبناً ممزوجاً بالتراب !..
(٢٥ يوليو سنة ١٩١٨)

1871
The first of the year
was a very dry one
and the crops were
very poor.

The second of the year
was a very wet one
and the crops were
very good.

The third of the year
was a very dry one
and the crops were
very poor.

The fourth of the year
was a very wet one
and the crops were
very good.

The fifth of the year
was a very dry one
and the crops were
very poor.

The sixth of the year
was a very wet one
and the crops were
very good.

The seventh of the year
was a very dry one
and the crops were
very poor.

سر من أسرار
تأخر المصريين

سر من أسرار تأخر المصريين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معمم ذو ثروة كبيرة . إذا مشى في طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار . وإذا نظر اليك نظرة اختبار واستفسار قرأت في عينيه الطيبة ولا أعالي إذا قلتُ السذاجة . هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه في الحى الذى نسكن فيه أربعة أشهر . ثم جاء شهر رمضان فاذا بي أراه من نافذة غرفتي يجلس مع أولاده في غرفة من غرف داره ليقرا البخارى . وإذا بي أرى شيخا آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالسا بجواره يسمع أحاديث النبي ^{صلواته} ^{عليه} ويهز رأسه استحسانا حتى اذا تعب صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ في تلاوة الأحاديث .

جميل ذلك المنظر ، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبي ^{صلواته} ^{عليه} . وفي ذلك عبرة ان يعتبر وذكري لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتاد الدخول فى بيوت النامس كل يوم فجلستُ معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث فى مواضع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له :



﴿ نحن نقرأها يا ولدی علی برکة الله ﴾

— أرى سيدي الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة
أحاديث النبي .

— نعم يا ولدي وعلى بركة الله .

— قراءة أحاديث النبي ذات فوائد عظيمة . لعلمكم وجدتم
فيها شيئاً يعزز بعض آراء النحويين .

— نحن نقرؤها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا في معاني أحاديثه نظريات تتفق أو تدحض
بعض نظريات علم الاجتماع .

— نحن نقرؤها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا فيها شيئاً من سياسة الأمم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك بلحيته وتردد
قليلاً ثم قال :

— نحن نقرؤها يا ولدي على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

وانقضى شهر رمضان وكادت أن أنسى ذلك اللقاء الى أن
سأقت الظروف لدارنا مستشرقاً من مستشرقى أوروبا ، شيخاً

أشيب وقوراً حليم الطبع لامع الصفحة . قدم الى مصر للبحث عن
كتاب عربي قديم في أمراض العيون بحث عنه في جميع مكاتب
العالم فلم يجده في غير مكتبتنا

جلستُ مع الرجل وحادثته ملياً وقلت له :

— شكراً لك ياسيدي لأنك بطبع هذا الكتاب تخدم

الشرق أجمع

— بل إنني أشكركم بالسماح لي بطبعه .

— إنك تظهر مآثر العرب وتلشر علومهم الدفينة .

— أجل ولكني أيضاً أظهر للعالم الانساني كيف كان حال

الطب في ذلك العهد ولهذا أخدم تاريخ هذا العلم وابعلى أوفق لذلك .

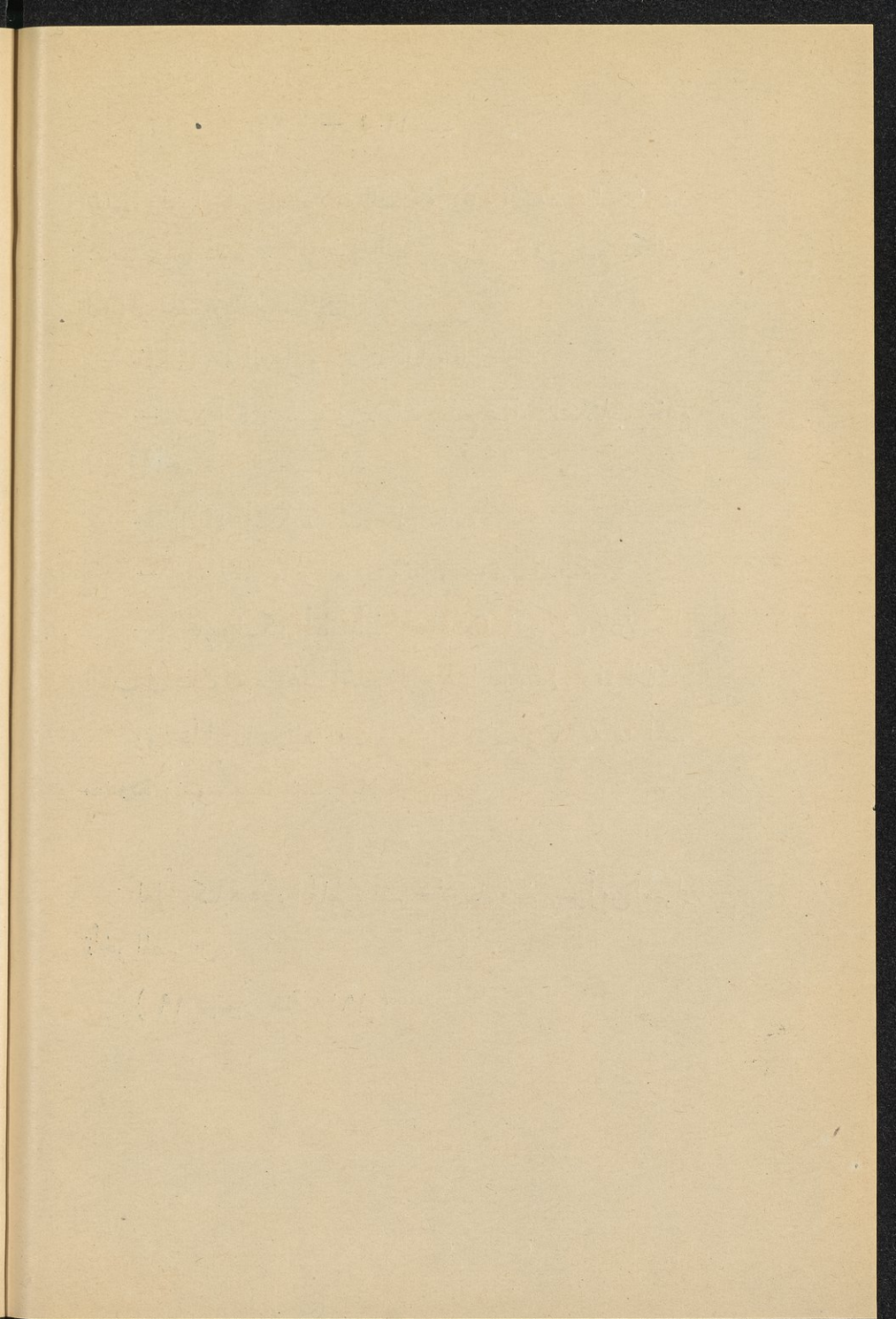
وودعنا الرجل وانصرف حاملاً الكتاب وأنا به بعد أشهر

معدودة مطبوعاً طبعاً متقناً جميلاً .

لعلى بكتابة هذه الحاضرة أشرح لآبناء وطنى سرّاً من أسرار

تأخر المصريين .

(١٩ سبتمبر سنة ١٩١٨)



هنا وهناك

هنا وهناك

ما أجمل جبل السنسير بضواحي ليون ، جبل أخضر اللون
تكتنفه تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق . وعلى قمته
بنت يدُ ناسك متقشف بيتاً صغيراً يقضى فيه حياته ، تحوطه حديقة
غرس أشجارها بيده . هناك تشرق عليه الشمس وهناك يعم الظلام
بيته وهناك اعتزل العالم وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت
منذ ثمان سنوات في أسرة افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس
فيها اللغة الافرنسية . وكان بيتهم غير بعيد عن الجبل وكنت
أشرف منه على مدينة ليون فتراءى لى فى ظلام الليل بمصاييحها
اللامعة . أيام جميلة تعيدها الذكرى لنفسى ، وما أجمل الذكرى
والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءاً من عمره لاقى
فيه السعادة والصفاء . قلت إنى كنت نزيل أسرة افرنسية مكونة
من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحاً الى المدرسة
ويعودان منها قبيل الغروب فيلعبان ويمرحان فى الحديقة الى أن
يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالعة ويقضيان مع عمهم ساعة من
الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدرسان درس الغد ،

وأبيح لي أن أشهد هذه الدروس لتعماد اذني سماع النعمة الافرنسية .
ففي ذات ليلة رأيت في يد الطفل الصغير ، وكان لا يبلغ من العمر
الاثمان سنوات ، قطعاً من الحجارة يدرس أسماءها مع عمته .
ورأيتُ الطفل الكبير ، وكان يبلغ الثانية عشرة من عمره ، يمسك
بكتاب في يده مكتوب عليه هذا العنوان : (مبادئ علم الفلسفة) .
ولبثا يتناقشان مع عمتهما ثم قننا سوياً للعشاء ومكثنا نتسامر بعد ذلك
ثم دخل كل الى غرفته لينام .

سبحان ربي لقد كنتُ أبلغ التاسعة عشرة بل كنت على
أبواب العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكني كنت
جاهلاً بعلم طبقات الأرض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسي البالغ من العمر ثمان سنوات او اثنتي
عشرة سنة فهو خبير بعلم طبقات الأرض ويعلم الحيوان والنبات
والمنطق وعلم النفس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ
الجاهل أمام الاستاذ المتعلم

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فإن كان من القسم العلمي
جهل علمي التاريخ والجغرافيا ، وان كان من القسم الأدبي جهل
الرياضيات والكيمياء والطبيعة . أما علم طبقات الأرض والحيوان

والنبات والفلسفة فلم تقرر بعد في برنامج المدارس الثانوية ولا تدرى
السبب في ذلك .

نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصلح في
الغد ما أهملته بالأمس .

(٣١ أكتوبر ١٩١٨)

العاشق المهفتون

بالرتب والنياشين

العاشق المفتون

بالرتب والنياشين

(من رسائل مجبور افندى) (١)

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

يا صديقي العزيز .

اسمح لي أن أناديك بالصديق العزيز مرة في كل عام وان كنت لم أسعد في حياتي الماضية ولن أسعد في حياتي المقبلة بمعرفتك ، ومعرفتك أمر هام جداً ، بل هي شرف عظيم لكل من يجد في قربك سعادة لنفسه وراحة لضميره المعذب . ولكنني لا أكتمك ، وان كانت صراحتي تؤلمك ، أتى لا أود ولن أود أن تسمح لي الظروف بمعرفتك بل برؤياك

لماذا إذاً أخاطبك في العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك هذا الخطاب ويني وبينك مسافة ما بين الأرض والسماء ، مسافة طويلة جداً ، ولكنها لا توجد الا بين نفسي ونفسك ! أما جسمانا

(١) كان في عزه التقيد أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان ولكن لم يتم منها الا هذه القطعة .

فقريبان وربما التظا في الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على
صعيد واحد ، هو مصر . اذاً لماذا اُكتب ؟ انى لا أسائل نفسى
لأنى أعرف السبب وسأذكره لك فربما وجدت فيه عزاء لنفسك
المضطربة وراحة الضميرك الهائج . ولسكنى لا أريد أن نتكلم سوياً
الا اذا اعتقدت أنى صريح فيما أقول وأنه لا يحملنى على مناقشتك
الا أمر واحد هو حجبى للناس . ومن هدا الحب تولدت فى قلبى
عاطفة غريبة نحوك ، عاطفة تكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما
أجمل الصراحة التى يتساقط من نورها الوضاح شعاع الشفقة والرثاء .
أنت بلا شك لا تغضب لأنى صريح ولكنى أخشى أن
يسوؤك رثائى وشفقتى . لهذا أود من صميم قلبى ان تتنازل عن
كبرياتك

عفواً أيها الصديق العزيز ! عفواً ! لقد أخطأتُ مرة ثانية
وقلتُ إنك من المتكبرين المتعطرسين . ولكن ما الذى يضرك .
وهل يسوءك أن أصفك بهذه الصفة وانت ممن يجدون فى الكبرياء
والإهبة لذة لا تقدر ؟ اظن اذاً أنى لم أغضبك مرة ثانية وأنى لم
أخطئ بالمرة . فاسمح لى اذاً أن أقول لك انى أود من صميم قلبى
أن تتنازل عن كبرياتك فى غضون تلك الساعة الزمانية التى نود
أن نتحدث فيها سوياً وان لا يسوؤك أنى اشفق عليك وارثى لحالك .

إذا فلنبدأ الحديث على الشروط الماضية . وحديثي معك يبدأ هكذا :

أنت أيها الصديق أحد رجلين ، فاما أن تكون من أعيان القاهرة ، تلك الجماعة التي تسكن القصور الشاخنة تحوطها الحدائق الغناء ، والتي تركب السيارات ذوات الابواق المزعجة ، والتي اذا تكلمت تأنت في كلامها ووزنت كل حرف بميزان الأبهة والكبرياء ، والتي تلبس الملابس الغالية وتأكل الطعام الفاخر ، والتي تجدد في التبخر ، اذا سارت ، باباً جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتي اذا زارت لا تزور الا من له صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحني ظهورها ، وتمد للرق رقبته ، أما لغيرهم فتظهر بمظهر المتعجرف الشامخ الذي اذا جلس اتحف بجلباب الكبر . واذا سار امتطى ظهر التيه .

إما أن تكون هذا الرجل واما أن تكون الرجل الآخر ، أي من أعيان الريف الذين اذا أكلوا في منازلهم اكتفوا بالعيش والفتة . واذا زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يملوه الخروف ، والذين ينامون في غرفة ضيقة وياتحفون بملابسهم ولكنهم يعدون في قصرهم لرجل الحكومة غرفة جميلة وسريراً حريياً ولا يستنكفون من أن يقفوا في خدمته وقفة الخاضع الدليل ولكنهم يستنكفون أن يسمحوا

لزوجاتهم وأولادهم أن يأكلوا معهم .
إما أن تكون الرجل الأول أو الثاني . وسيان عندى أن تكون
أحد الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد، فأتما شخص واحد .
دع عنك فروق المعيشة فما هى الا نتيجة الجو الذى عشنا فيه . ولا
يهمنى من أمركما إلا شيء واحد خضوعكما لمن فى يده القوة
واستتكافكما من معاشرة الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه
الآنك عاهدتني قبل محادثتك بتنازلك عن كبريائك وباعتقادك أنى
أصارك القول . والآن فلتحدث قليلا لأعلمك لماذا أخاطبك
فى العام مرة واحدة . أظنك لا تنكر يا صديقى أنك تقضى العام
كله ما عدا عدة أيام قلائل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ،
تقوم مبكرا من نومك وفى رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك
ويصور لك الحياة فى صورة قبيحة لاترضاها لنفسك . أليس الأمر
كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك فى أعين الناس . أنت تود أن
تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك
أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية فى مصر ! ولكنك مع
الاسف تجهل ماهية القيمة الإنسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها
ولكنك تتعافل عنها لانك لاتجد فيها الطريق السوى الذى

تسوغ لك كفاءتك السير فيه . لهذا تسير في طريق آخر آملاً
أن تصل به الى العرش الذي تطمح نفسك لارتقائه . وما نتج هذا
الا من جهلك لانك بلا نزاع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس
بعد لباس الحقيقة ولم تشرب أيضاً من ينبوعها الطاهر . وليس
الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت في جو لم تنل فيه من
العلوم والآداب قسطاً وافراً . فانت بطبيعتك جاهل . هذا ظل
قلبك مقفلاً أمام نور الحقيقة ، ذلك النور الذي يتغلغل في حنايا القلوب
فيضيء ظلماتها القائمة . اذا أنت من الحزب المصرى الذى يرى
قيمة الرجل بالرتبة التى يفاها أو فى النيشان الذى يحلى به صدره .
وياليتهم يرى ذلك فحسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى
أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما فى وسعه وأن يبرر
كل واسطة للوصول لغايته . فانت اذا من هذا الصنف ، أى إنك
تود رفعة المقام فى الحياة دون أن تفعل شيئاً يذكر تستحق عليه رفعة
المقام . أظنك توافقنى أيضاً على ذلك . وأظنك أيضاً تقضى العام
كله وأنت تزور من له صلة بمن فى يده تدبير الأمور . تزوره كلما
سمحت لك الفرصة فتمجاس بين يديه وقد جلس الكبر بين عينيه
وتمشى الذل فى شرايينك فأحنيت رأسك وتذلت فى السؤال
والسكلام والسلام ثم تعود الى بيتك وتمجاس على كرسيك جلسة

الكبرياء والعظمة وتفكر فيما فعلت .
انى أقسم بكل عزيز عندى فوق الأرض وتحت السماء أن
ضميرك لا يلبث أن يوبخك وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك
وترعد فرائصك خجلاً . ولكنك تنظر الى يمينك فترى صديقك
فلان حائزاً لرتبة باشا وأنت لم تحز بعد إلا رتبة بك . ثم تنظر
لشمالك فترى صديقك الآخر حاز نيشاناً وصدرك مازال خالياً
من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزول احمرار وجهك
ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشؤه الغيظ والحسد . وتظل ركبتك
ترعدان ، ارتعاداً ليس منشؤه الخجل بل الغضب والحقد . فتنسى
ما أتيتك به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل
آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر
لك قرار . فاذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذي يتكرمون فيه على
الناس بالرتب والأوسمة أكثرت من زيارتك وقضيت لياليك
وأنت لاتنام ، يدنيك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعدك اليأس . ثم
ماذا ؟ تظهر النتيجة ثم ترى نفسك قد سقطت فى الامتحان . ويلاه
وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لانك لم تنل غايتك ، ويلاه لزوجتك
لانك تحرم عليها الطعام ، ويلاه لأولادك لأنك تشبعهم ضرباً ،
ويلاه لخدمك لأنهم يظنون مدة وهم مهددون بالطرد . ثم ترجع

لنفسك وتسألها لماذا فاز غيرك ولم تغز أنت فلا تهتدى لشيء . ثم
تسأل الناس وتعود لزياراتك الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد .
فأذانت الرتبة أو النيشان تمشى السرور في نواحيك وهزك الفرح
هزة تمشى أن تضر بصحتك . ثم تمر الأيام وتنسى كل ذلك
وتنظر الى يمينك والى يسارك فتري الصورة التي رأيتها قديماً ،
تري قوماً آخرين من أصحابك هم أعلامك رتبة أو حازوا
نيشاناً لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات
والخضوع ، أي انك تظل طول حياتك معذبا مكروب النفس حزين
القلب . فوأسفاه لك ! ومن تلك الحياة المنغصة التي ارتضيته لنفسك .
ولعلك بعد هذا الحديث الطويل توافقني بل تشكرني لأنني
أشفق عليك وأرئي لحالك . واسمح لي أيضاً أن أقول لك — وان
كنت أشك فيما سأقوله — ربما يجول بخاطرک الآن هذا السؤال :
« اذا ما هو الطريق الذي اذا سرت فيه استراح ضميري وهدأت
ثائرة نفسي ؟ . ما هو هذا الطريق أيها الصديق ؟ » سأخبرك عنه .
واعلم أن من أجل هذا السؤال أكتب اليك هذا الخطاب . أنت
لست من العلماء لأطرق معك باب العلم وأقول : « اقرأ وألف
واخترع » . ولست من رجال الصناعة فأقول لك : « اعمل في سبيل
دواج صناعة بلادك » . ولست من رجال الادب فأقول لك . « أي

كتاب كبت؟». ولست من التجار ولا رجال الحكومة ولا
ولا.... ولكمك من الاغنياء. أنت من الرجال الذين
يكنزون في بيوتهم القناطير المقنطرة من الذهب والذين اذا مشوا
أوركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغني فلان ». أنت من هؤلاء
أيها الصديق وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره. كلا وألف
مرة كلا. أنا أود أن يظل مالك في حوزتك ولكني أرجوك أن
تتنازل عن بعض ايرادك لمن يستحقه. بلادك أيها الصديق محتاجة
لبعض مالك لينفق في سبيل الخير. أمامك الفقراء يودون أن يجدوا
أمامهم مدارس يرسلون اليها أبناءهم بلا أجر. وأمامك الشيوخ الذين
أقعدهم المرض والفقير والشيخوخة عن العمل. هم في حاجة للملجأ
يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال. وأمامك اذا سرت في الطريق
على قدميك الأطفال المتشردون الذين بأحسانك ينصلح حالهم
فيعودوا بالخير على أمتهم. وأمامك المرضى الفقراء فهل لك أن
تنشىء لهم مستشفيات، وفي طاقتك أن تفعل ذلك؟ هذا هو السبيل
السوي الذي تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة.

أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك،
على شريطة أن لاتزور أحداً ممن كنت تزورهم وأن لاتخني رأسك

للذل ولا تمد رقبتك للرق ، أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟ أنى سأقول لك شيئاً ستندهش له وأخشى أن لاتصدقنى .
ولسكنى سأقوله على كل حال . انى أو كذ لك أيها الصديق أن تلك الرتبة التى كنت تسعى لها ستسعى هى اليك وان النيشان الذى كنت تفتش عنه فى كل ساعة سيفقدش عنك بنفسه . وسوف يقول الناس : « ان الرتبة والنيشان تتشرفان بك بدل أن تتشرف بهما » .

ثم بعد ذلك ، بعد هذا الكلام الطويل بينى وبينك ، مازلت أحس بدافع يدفعنى لأن أقول لك شيئاً آخر ولسكنى أفضل أن لا أقوله خشية أن تنفر منى وتظن انى واهم أو انى أخبط خبط عشواء . أقول أم لا أقول لأعلم ؟ دعنى أفكر ! وأخيراً قد استقر قرارى على أن أقول هذا الشئ . . فان كنت حى الضمير صدقتنى وشكرتنى وربما قبلتنى قبلة أخوية طاهرة . أما اذا كنت ممن لا ينفع معهم الكلام فانى لا أخسر شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد ما أتعبت نفسى فيما قلته لك . اعلم يا صدىقى انك بعد ان تقوم باحدى الاعمال التى طلبتها منك ستشعر بشئ غريب ، بشعور جديد ، براحة فى ضميرك توحى اليك بأن تعتقد أن خير جزاء وأن أكبر مقام هو

تلك الراحة التي تشعر بها عند ما تجري عينك الاطفال الذين أصلحت
حالمهم والشيوخ الذين آويتهم والمرضى الذين شفيتهم .
عندها تسمى ربتك القديمة ونيشانك القديم وتعرف أن
الأحسان هو أعظم رتبة وأكبر نيشان . وأن الرتب والأوسمة ما هي
إلا أوهاام

(سنة ١٩١٧)

تم الكتاب -

جميع الحقوق محفوظة للناشر

محمود تيمور

المطبعة السلفية - وكنتها
مضاهيما: محب الزينة للطب وصيدان

القاهرة سنة

١٣٤٥ ، ١٩٢٧

فهرس السكتاب

صفحة

٣

كلية للناشر

٧

موجز عن حياة المؤلف واعماله

١٥

ماتراه العيون

١٥

١ في القطار

٢٩

٢ عطفة (ال . . .) منزل رقم ٢٢

٣٩

٣ بيت السكرم

٥١

٤ حفلة طرب

٦١

٥ صفارة العيد

٧١

٦ ربي لمن خلقت هذا النعيم

٨١

٧ كان طفلا فصار شابا

٨٩

خواطر قصصية

٨٩

٨ ريان يافجل

صفحة

٩٥	٩٠	سارق وسارق
١٠١	١٠	للفقراء مجاناً
١٠٧	١١	درس في كتاب
١١٣	١٢	عرس وماتم
١١٧	١٣	رمضان في قهوة ماتانيا
١٢٣	١٤	ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر
١٢٧	١٥	لبن بالقهوة ولبن بالتراب
١٣١	١٦	سر من أسرار تأخر المصريين
١٣٧	١٧	هنا وهناك
١٤١	١٨	العاشق المفقون بالرتب والنياشين



فهرس الصور

صفحة

٤		المرحوم محمد تيمور
١٧	(رسم حسين افندي فوزي)	الشيخ المعتم
١٩	» » » »	الطالب الريفى
٢٠	» » » »	الافندى المعجب بنفسه
٢١	» » » »	الشركسى
٢٣	» » » »	العمدة
٣٥	(رسم عباس افندى كامل)	المطاردة الغزلية
٤٢	(رسم حسين افندي فوزي)	محمد بك مجدى
٥٤	» » » »	المغنى الأول
٥٥	» » » »	المغنى الثانى
٥٧	» » » »	المغنى الثالث
٦٨	» » » »	من أجل صفارة العيد
٧٩	» » » »	جنة المحبين
٨٧	» » » »	محبوب ومر بيته
٩٤	» » » »	ريان يافجل
٩٩	» » » »	الشيخ احمد يقبض عليه البوليس

العريف والصبي (رسم حسين افندي نوزي) ١١٠
نحن يا ولدي تقرأها على بركة الله « « ١٤٣

اطلبوا مؤلفات محمود تيمور

الشيخ رحمه

وأقاصيص أخرى

الطبعة الثانية منقحة ومزينة بالصور ظهرت حديثاً في عالم المطبوعات.

عم متولى

وأقاصيص أخرى

لم يبق منه إلا بضعة نسخ قليلة وسيعاد طبعه عن قريب

الشيخ سيد العيوط

وأقاصيص أخرى

قرب أن ينفذ وسيعاد طبعه . وهو كتاب مصدر بمقدمة طويلة عن
البلاغة القصصية في الأدب العربي

متعهد ببيع مؤلفات محمود تيمور وكذلك « ما تراه العيون » للمرحوم
محمد تيمور :

المكتبة السلفية

بشارع الاستئناف . خلف المحافظة . ميدان باب الخلق
وكذلك تُطلب من المكاتب العربية المشهورة . ومن مكتبة
C.M.S الانجليزية بالقاهرة واسكندرية

يظهر في نوفمبر القادم سنة ١٩٢٧ كتاب :

رجب افندى

رواية قصصية مصرية تأليف

محمود تيمور

يظهر قريباً في عالم التمثيل والمطبوعات روايتي :

الخطبة و البيضة

تأليف محمود تيمور . الاولى كوميدى درام ، مصرية ،
اجتماعية ، ذات ثلاثة فصول . والثانية كوميدى ، مصرية اخلاقية ،
ذات ثلاثة فصول

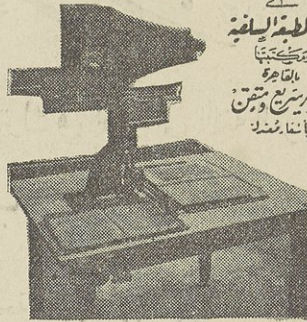
PB-30400-SB

5-20

C

نسخ المخطوطات القيمة والكتب الأثرية والسند المحمدي

بالضوء غرايف



في
دار الطبعة العلمية
وخطية
القاهرة
تصوير نسخ وترتق
إنشاء غنملا

١٥٩-١٥٩-١٥٩

١٥٩

مذكرات عليه السلام الثاني

اشترك في نقلها الى اللغة العربية

س
أسعد داغر
المحرر بجريدة الاهرام
وهو في ٢٥٥ صفحة مترجماً ترجمة بليغة صحيحة . وثمانه ٨ قروش

و
محب الدين الخطيب

منشئ مجلة الزمراء

قصص من تاريخ

رواية وطنية تتضمن تاريخ نهضة الترك بعد الحرب العظمى

للسيدة خالدة اديب ووزيرة المعارف في آنقرة سابقاً

وتعريب محب الدين الخطيب

في ٢٠٨ صفحات ثمنها ٥ قروش



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



**Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University**

PJ

7864

.A52

M3